قسم اللغة الفارسية وآدابها

مقرر

تاريخ إيران في العصرين المغولي والتيموري

مع نصوص فارسية

الفرقة الثانية فارسي

أستاذ المقرر

د. صديق محمود حسن إبراهيم

قسم اللغة الفارسية وآدابها- كلية الآداب بقنا

العام الجامعي ٢٠٢٢/٢٠٢٣م

بيــانــات أساسية

الكلية: الآداب

الفرقة: الثانية فارسي

التخصص: اللغة الفارسية

عدد الصفحات: ١٥٠صفحة

القسم التابع له المقرر: قسم اللغة الفارسية وآدابها .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بيانات أساسية	٣
مقدمة	٥- ٦
القسم الأول: تاريخ إيران في العصرين المغولي والتيموري	٧- ١٢٥
الفصل الأول: المغول	٩- ٧٥
الفصل الثاني: الإيلخانيون	٧٧- ٩٠
الفصل الثالث: الجلائريون	٩١- ١٠٠
الفصل الرابع: الفترة بين العهدين الإيلخاني والتيموري	١٠١-١١٠
الفصل الخامس: التيموريون.....	١١١- ١٢٦
القسم الثاني: النصوص الفارسية	١٢٧- ١٤٨
قائمة المصادر والمراجع	١٤٩-١٥٠

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم .

يسعدني أن أقدم لدارسي اللغة الفارسية وآدابها والمهتمين بها هذا العمل المتواضع المبسط، والذي حاولت فيه تقديم تاريخ إيران تاريخ إيران في العصرين المغولي والتيموري بشكل مختصر، وأسلوب سهل سلس بعيد عن الغموض والإبهام، وقد سبقني فى هذا المضمار نخبة كبيرة من أساتذتنا الإجلاء كان لهم دورهم البارز، وإسهاماتهم القيمة في هذا السبيل، فأناروا لنا الطريق، وعلى هداهم نسير .

ينقسم الكتاب إلى قسمين، على النحو التالي :

مقدمة

القسم الأول: تاريخ إيران في العصرين المغولي والتيموري

الفصل الأول: المغول

الفصل الثاني: الإيلخانيون

الفصل الثالث: الجلائريون

الفصل الرابع: الفترة بين العهدين الإيلخاني والتيموري

الفصل الرابع : التيموريون

القسم الثاني: النصوص الفارسية

قائمة المصادر والمراجع .

وأرجو من الله العزيز القدير أن أكون قد وفقت فيما قمت به من عمل، وعلى الله قصد السبيل، فهو الموفق والمعين .

القسم الأول

تاريخ إيران في العصرين المغولي والتيموري

الفصل الأول

المغول

الحالة العامة للعالم الإسلامي قبيل الغزو المغولي

في الوقت الذي ظهرت فيه القوة المغولية مع بداية القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، كانت هناك عدة عوامل كانت سببًا مباشرًا في ظهورها، أولى هذه العوامل وأهمها الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي، حيث كان يعيش في حالة كبيرة من التشتت والضياع والتناحر، فقد انقسم إلى مجموعة من من الممالك والدويلات الصغيرة بعضها قوي وبعضها ضعيف سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية، كما تميزت هذه الممالك والدويلات بالتنازع مع بعضها البعض من أجل السيطرة أو التوسع على حساب الأخرى ، وكان الحكام المتنازعون يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح المسلمين العليا متناسين قول الله تعالى: ".. ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" (الأنفال، الآية ٤٧)، وكانوا في سلوكهم الخاص ومعاملاتهم لشعوبهم أو لبعضهم بعضا قد تخلوا عن قواعد الإسلام ومبادئه، وانحرفوا عنه انحرافاً شديداً، وانتشرت بينهم الموبقات، من معاقرة للخمر، وقتل الوقت بحضور حفلات الرقص الماجن وارتكاب الفواحش، واللهو الخليع، وقد تبعهم في ذلك كبار قادتهم، وكثير من يلوذ بهم من الناس، فالناس على دين ملوكهم، وكان من نتيجة تخليهم عن أخلاق الإسلام فقدان روح التضحية وحب الاستشهاد مما أضعف الروح المعنوية في حروبهم مع المغول وذلك هو "الوهن" الذي حذر منه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين قال: " يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية

الموت". وكانت الأمة قد تفرقت وتمزقت، ففي كل ناحية سلطان وفي كل قبيلة أمير. وانتهوا إلى بلاء شامل قال الله تعالى فيهم: "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار"(إبراهيم، الآية ٢٨) . لقد غلبت عندهم المعيشة، ورخص الإنسان وعمرت المراقص والحانات، وخربت دور العبادة وقل عدد الملتزمين من الحكام وخاصتهم بالفضائل، وأطلقوا العنان لشهواتهم وأكرموا أهل النفاق والكفر فكانوا كما قال الله عز وجل: "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" (النحل ، آية ١١٢). وما يعنينا من العالم الإسلامي في هذا الموضوع هو الجانب الشرقي منه، أما الغربي منه في المغرب والأندلس فلقد كان هناك أيضاً الصراعات الداخلية، والجانب الشرقي من العالم الإسلامي كانت تتقاسمه عدة دول، ففي بلاد فارس أو إيران كانت تقوم الدولة الخورازمية التي امتدت حدودها من جبال أورال في الشمال إلى الخليج العربي في الجنوب، ومن جبال السند شرقاً إلى حدود العراق غرباً، وفي العراق كان الخليفة العباسي في بغداد وله السيادة الروحية، أما القوة السياسية والعسكرية فقد زالت عن هذه الخلافة، ولم يعد لهذا الخليفة من القوة إلا أن يطلب الدعوة على المنابر في صلاة الجمعة أو المناسبات أو الأزمات بأن يوفق الله المسلمين، أو الاستنفار للجهاد، أما الدولة الأيوبية في مصر والشام، فقد كان لها مشاكلها خاصة مع مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية على الساحل الشامي، ومما يزيد المشكلة تعقيداً أنه مع ظهور أخطأر المغول كانت الحملة الصليبية الخامسة قد استولت على مدينة دمياط عام ١٢١٨م، مما أدى إلى وفاة الملك العادل، ثم انقسام البيت الأيوبي إلى عدة ممالك أهمها مصر

وعلى رأسها الملك الكامل ٦١٥-٦٣٦هـ/١٢١٨-١٢٣٨م، ودمشق على رأسها الملك المعظم عيسى٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٧م. وكان هناك دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وهي الدولة التي ظلت في مواجهة الإمبراطورية البيزنطية منذ نشأنها حتى نهايتها، يضاف إلى ذلك أخطار الصليبيين في بلاد الشام ثم العالم الغربي بعد سقوط القسطنطينية في أيدي الصليبيين من قوات الحملة الصليبية الرابعة، عام ١٢٠٤م .

١- طائفة الإسماعيلية الباطنية :

يعد الحسن الصباح المؤسس الحقيقي للطائفة الإسماعيلية في إيران، إذ أخذ في الاستيلاء على كثير من البلاد والقلاع المجاورة في "قهستان" وكانت أهمها قلعة "الموت" التي استولى عليها سنة ٤٨٢هـ-١٠٨٩م، فصارت عاصمة للإسماعيلية وقاعدة لملكهم، ولم يقف أمر "الصباح" عند هذا الحد، بل استطاع بمعاونة أتباعه أن يستولي على المنطقة جنوبي بحر قزوين بأكملها، وقد اشتهرت الطائفة الإسماعيلية في التاريخ بأنهم قوم محاربون أشداء، بثوا الرعب في النفوس، وعاثوا في الأرض فساداً، وقاوموا سلاطين السلاجقة واهتزت بسببهم السلطنة والخلافة، فلا غرو إن كان العداء شديداً بينهم وبين سائر المسلمين، كان لهم جهاز رهيب، وتنظيم سري يتكون من طائفة من الشبان المغامرين الشجعان، الممتلئين قوة وحماسة وتضحية وتفانياً في الدفاع عن عقيدتهم، وكان هؤلاء الفدائيون يجيدون فن التخفي وساعدهم على ذلك طبيعة الدعوة الإسماعيلية الباطنية التي كانت تجري في سرية تامة، بحيث أنه كان يتعذر على المرء أن يميز الشخص الباطني من غيره، وكان أعضاء هذا الجهاز يختارون في سن مبكرة ويدربون تدريبات شاقة مضنية على استعمال السلاح، وأساليب القتال، وطرق الاغتيال وسفك

الدماء، وكانت القاعدة عندهم أنه إذا ظهر حاكم قوي في البلاد الإسلامية المجاورة، أسرع الفدائيون منهم إلى اغتياله ليأمنوا جانبه، وكان هدفهم الأول من وراء ذلك هو بث الرعب والفزع في نفوس الجميع ونشر الاضطرابات والفتن وإشاعة الفوضى في صفوف المعادين لمذهبهم، فراح ضحيتهم كبار الشخصيات في الدولة السلجوقية، فقد قتلوا أعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق وأكبر عقلية مفكرة في دولتهم، وهو خواجه "نظام الملك"، وكان ذلك بأن تقدم إليه أحد الفدائيين من هذه الطائفة على هيئة رجل صوفي، وطعنه بخنجره طعنة نجلاء خر على أثرها صريعاً سنة ٤٨٥هـ- ١٠٩٢م. فكان أول شخصية كبيرة فقدها العالم الإسلامي بسبب هذه الطائفة الدموية . وقد قام الولاة والحكام المسلمون بتسليط بعض أفراد هذه الطائفة ضد بعضهم بعضاً، ومن أمثلة ذلك عندما قام الصراع بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة، اتهم السلطان "مسعود" بأنه هو الذي أوعز إلى جماعة من الفدائيين بالتخلص من الخليفة "المسترشد"، فقتلوه سنة ٥٢٩هـ-١١٣٤م، ومثلوا به أشنع تمثيل، كذلك قتل ابنه "الراشد" بمدينة "أصفهان" سنة ٥٣٢هـ- ١١٣٧م ؛ لأن محاربة الخلفاء العباسيين هدف يتفق مع مبادئهم، وقد قام صراع بين الإسماعيلية والدولة الخوارزمية سبب للطرفين خسائر فادحة، كما قامت هذه الطائفة بأعمال إجرامية ضد الطوائف الإسلامية التي تخالفهم في العقيدة، فأشاعوا الرعب والإرهاب، وظلموا وجاروا حتى لقد تمنى المسلمون زوال حكمهم، بل لقد شجعوا المغول وحثوهم على محاربتهم والقضاء عليهم .

٢- الخلافة العباسية :

كانت علامات الضعف قد ظهرت على الخلافة العباسية في بغداد قبل ظهور خطر المغول، وهذا الضعف كانت له جذوره العميقة التي بدأت منذ

سيطرة العناصر الفارسية بمنصب الوزارة في الخلافة العباسية، الأمر الذي أظهر خلافاً بين العرب والفرس وما تلى ذلك من أحداث أدت إلى دخول العناصر التركية إلى السلطة في بغداد، وبذلك أصبح يتطلع إلى السلطة ثلاثة عناصر، هي العرب والفرس والأتراك، وقد نتج عن هذا كله طمع حكام بني بويه، الذين أقاموا دولتهم في جنوب غربي إيران في السلطة، وكان لهم ما أرادوا حيث نجحوا في السيطرة على الخليفة في بغداد، وقد استأثر حكامهم بالسلطة، واتخذوا لقب السلطان، وطغى نفوذهم على نفوذ الخلفاء العباسيين وكان بوسعهم إلغاء الخلافة العباسية تماماً، ولكنهم لم يقدموا على هذه الخطوة خشية العالم الإسلامي السني، لأن دولة بني بويه كانت من طائفة الشيعة، وكان لهذا كله أثره الكبير على هيبة الخلفاء العباسيين، وبدأ حكام الولايات في الاستقلال، بولاياتهم، والاكتفاء بالولاء الأسمى للخلافة العباسية، ومن هنا تمزقت الروابط القوية التي تربط الخلافة بتلك الولايات، ومع هذه الحركات الاستقلالية أو الانفصالية بدأت ملامح فساد الإدارة داخل الخلافة، الأمر الذي أدى إلى محاولة البعض الإنفراد بالسلطة وتعرضت الخلافة العباسية، لسيطرة الأتراك السلاجقة السُنّة، بعد أن أزالوا النفوذ البويهي الشيعي من بغداد، وقد سيطر هؤلاء على الخلافة، واتخذ حكامهم لقب سلطان، وعرف حكامهم الأوائل باسم السلاطين العظام، وبقي الخليفة في بغداد أو بالأحرى في قصره لا حول له ولا قوة، وتصرف هؤلاء السلاطين في الأراضي والمدن ومنحوها إقطاعيات للأمراء وذوي الشأن، وعندما انهار سلطان السلاجقة العظام كانت أعالي الفرات وشمال الشام ثم جنوبه دويلات لا تتعدى المدينة وما حولها، عمل الزنكيون على توحيدها، ودخلوا في صراع مع الدولة الفاطمية بمصر، وانفصلت أقاليم

الدولة عن الحكومة المركزية في بغداد، وأصبحت عاجزة عسكريًا عن مواجهة أي غزو عسكري ولم يكن الخطر المغولي كأي خطر عادي. كانت هذه أوضاع الخلافة قبل الحروب التي شنها المغول على البلاد الإسلامية.

٣- الأيوبيون في مصر والشام :

بعد أن توفي السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م تفككت أملاكه، ووزعت بين أبناء البيت الأيوبي، ذلك لأنهم اعتبروا مملكته تركة خاصة، وما لبثت عوامل الانقسام والشقاق أن دبت بين أبناء صلاح الدين أنفسهم، وانتهز الملك العادل تلك الفرصة، ورأى أن يجمع هذا الشتات تحت إمرته، فلم يتردد في فرض سلطانه على مصر إلى جانب أملاكه في الشام، ورغم ذلك فإن "العادل" لم يستطع أن يسيطر على كل ما تركه صلاح الدين، بل ظلت الدولة مقسمة إلى سبعة أقسام، وكثيراً ما استقل بعضها استقلالاً تاماً عن مصر، وخضع لها البعض الآخر خضوعاً اسمياً، وكثيراً ما كان يحتدم النزاع بين حكام هذه البلاد، فيستعين الواحد منهم على الآخر، بعدو ثالث، بل وصل الأمر إلى استعانة بعضهم بالصليبيين على أقاربهم من الأيوبيين ، وعلى هذا فإن بلاد الشام أيضاً كانت في حالة من الانقسام والتباغض والشحناء أشد مما كانت عليه إيران، وخراسان والعراق، بالإضافة إلى أن تلك البلاد كانت قد وصلت إلى حالة شديدة من الضعف نتيجة للحروب الصليبية التي خاضتها لمدة قرن من الزمان، وهي تصد تلك الحملات، فلما شن "المغول" غاراتهم المدمرة على البلاد الإسلامية كان من الطبيعي أن يقف حكام تلك المناطق عاجزين تمامًا عن مدّ يد العون لإخوانهم في الشرق ، وكل ما فعلوه أنهم وقفوا يرقبون المعركة في غير اهتمام ولا بُعد نظر، منتظرين ما سيحل به، كما أن سلاجقة الروم المسلمين كانوا في نزاع دائم

مع الدولة البيزنطية ثم مع الصليبيين، فهم أول من تصدى للحملة الصليبية الأولى من القوى الإسلامية، كما أن حكام هذه الدولة كانوا في نزاع مستمر مع غيرهم من السلاطين المسلمين[1] .

ظهـــور المغـــول

ظهر المغول على مسرح أحداث التاريخ العالمي في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ثم برزوا كقوة عالمية ذات شهرة دولية واسعة النطاق خارج نطاق موطنهم الأصلي منغوليا في خلال العقدين الأول والثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، واستطاعوا تأسيس أكبر إمبراطورية عالمية عرفها تاريخ البشرية في فترة قصيرة، حيث تكونت إمبراطوريتهم الواسعة الأرجاء، والمترامية الأطراف في خلال ثلاثة عقود، وامتدت من الجزر اليابانية والمحيط الهادي شرقاً إلى قلب القارة الأوربية غرباً، ومن سيبريا وبحر البلطيق شمالاً إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين جنوباً، ولقد عرَّفهم مؤرخو العرب على وجه الخصوص والذين عاصروا أحداث ظهور المغول وغزواتهم للعالم الإسلامي بأنهم هم التتر أو التتار، وقد نهج منهجهم من جاء بعدهم من المؤرخين، بل حتى الأغلبية من مؤرخي المغول في عصرنا الحاضر، لكن هذه التسمية الخاطئة لم تقتصر فقط على المؤرخين المسلمين من العرب، بل سار على ذلك التعريف الخاطئ المؤرخون والرحالة الأوربيين الأقدمون منهم بشكل خاص، لكن كبار المؤرخين الأوربيين المستشرقين، أمثال، بريتسكنيدر وبارثولد الروسيين، وسيولر الألماني وبويل الإنجليزي وغيرهم، عرفوا الفرق

([1]) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٢٩- ٣٤

بين التتار والمغول وذلك من خلال ما كتبه المؤرخ المسلم رشيد الدين فضل الله، وخاصة ما كتبه في كتابه المشهور"جامع التواريخ"، ثم ما كتبه المؤرخون الصينيون، والتي ترجمت كتبهم إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة ، كالروسية، الألمانية والفرنسية، والإنجليزية، كما عرف المستشرقون ذلك أيضاً مما كتب باللغة المغولية، ويتمثل ذلك بصورة رئيسية في الكتاب المعروف بـ"التاريخ السري للمغول أو تاريخ المغول السري" بناء على هذا، نجد أن المغول شيء، والتتار شيء آخر، ولذا يمكن القول أن التتار مغول وليس المغول تتراً، فالتتار شعبة متفرعة من المغول، وليس المغول فرع من التتار، فالأصل المغول، وليس التتار، رغم أن التتار تفرعوا أصلاً من المغول، وأصبح لهم دولة مستقلة، سيطرت على المغول حقبة من الزمن، إلا أنه في الفترة التي نتناولها، جاء المغول تحت زعامة چنگيز خان، فهزم التتار، فقتلوا رجالهم، وسبوا نساءهم واسترقوا أطفالهم، ولذا نجد أن التتار قد تلاشوا على يد الزعيم المغولي، وأصبح المغول أصحاب الدولة والغلبة، فأسسوا إمبراطورية لهم عرفت في التاريخ بالمغول وليست بالتتار.

الموطن الأصلي للمغول وأشهر قبائلهم :

عاشت القبائل المغولية في المنطقة الواقعة في وسط آسيا بين نهري "سيحون وجيحون" من الغرب حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى أقصى الشمال الشرقي لآسيا، وتوسع البعض في حدودها حتى امتد بها إلى البحر الأدرياتيكي، إلى هضبة منغوليا وسلاسل جبال "تيان شان" وجبال "التاي" وما بينهما من سهول وصحراء جوبي، وحول بحيرة "بايكال"، وضفاف الأنهار الموجودة في تلك المنطقة، الموطن الرئيس لهذه القبائل، التي كانت تستقر في السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها

الدافئة شتاءً حيث تتوفر المراعي لحيواناتهم، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات وأعالي الجبال لمدة شهرين أو ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي.

عاشت القبائل المغولية في بيئة مناخية قاسية قارية المناخ، حيث تتراوح درجة الحرارة في معظم أجزائها ما بين ٣٨ فوق الصفر و٤٢ تحت الصفر؛ مما يؤدي إلى تجمد أنهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة، بالإضافة إلى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجنوبية في سيبريا الواقعة شمالاً، وتنعكس هذه الحالة في فصل الصيف حيث ترتفع الحرارة وتهب الرياح الشديدة المحملة بالرمال، وفي هذه البيئة القاسية، كانت هذه القبائل التي تعيش على الصيد والرعي تجري وراء المياه القليلة في "صحراء جوبي"، وفي السهول بين الجبال، وتعتلي المرتفعات وراء العشب والمرعى، وكلما زحف الجفاف أو قلّت الأعشاب انتقلوا إلى أرض مجاورة، وكان الترحال والتنقل هو القاعدة الطبيعية لحياتهم، ورغم وحدة أصول هذه الأقوام، إلا أنهم كانوا ينقسمون إلى قبائل عديدة تتزايد أعدادها يوماً بعد يوماً بحكم انقسامها على نفسها وانفصالها عن بعض حاملة أسماء جديدة، تفرعت إليها وعرفت بها .

كانت القبائل المغولية تعيش على الصيد والقنص، وتتغذى على اللحوم ولبن الخيل، ولم يكن لهم دور يذكر في التاريخ قبل ظهور چنگيز خان، وكانوا ينقسمون إلى عدة قبائل، أهمها:

١- قبائل التتار وقنقرات :

كانوا يقطنون المنطقة التي يحدها نهرا أرقون وسلنجا ومملكة القرغيز شمالًا، وإقليم الخطا (الصين الشمالية) شرقًا، وممالك الأويغور غرباً، وإقليم التبت ومملكة التانجوت جنوباً، وبصفة عامة كانوا يعيشون في الجنوب

الغربي من بحيرة بايكال حتى نهر كيرولين، وكانت تلك القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشًا وجبروتًا في أقاليم آسيا الشمالية، ولم يكن لهم شأن كبير، وكانوا غالبا ضمن أتباع أباطرة كين، ويدفعون الجزية لهم، وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة، ويذكر المؤرخ رشيد الدين فضل الله أن هؤلاء التتار كانوا أكثر قبائل البدو رفاهية وتنعمًا، وأنهم كانوا أثرياء، وهؤلاء التتار كانوا في معظم الوقت مطيعين وخاضعين لملوك الخطا، ولكنهم كانوا يثورون على الخطا من آن لآخر، فيسرع هؤلاء لمقاومتهم، وإرغامهم على الخضوع مرة أخرى، وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض. ويرى بعض المؤرخين أن التتار في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، كانوا ينقسمون إلى قسمين: الأول: تسع قبائل، والثاني: ثلاثين قبيلة، وكانوا يسكنون جنوب غربي بحيرة "بايكال"، حتى نهر "كيرولين"، وهم ثلاثة أقسام:

– التتار البيض: وهم الذين ينزلون خارج سور الصين.

– التتار السود: وكانوا ينزلون شمال صحراء "جوبي"، وكانوا بدواً رحلاً.

– تتار الغابة: وكانوا يعيشون حول الروافد العليا لنهري "أونون" و"كيرولين"، ومارسوا حياة الصيد.

٢– قبيلة كرايت: كان موطنهم الأصلي الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي، وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين العظيم، وهم من المغول، وهي أقوى القبائل المغولية في الفترة الممتدة من القرن الخامس وحتى السّادس الهجري، وكانوا يدينون بالمسيحية .

٣– قوم مركيت: يطلق عليهم أيضًا اسم "مكريت"، وكانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا، وجنوب بحيرة بايكال، ولهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحروب، ويعدون أصلًا من جنس

المغول، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد چنگيز خان وأونك خان؛ وعرف عنهم ميلهم للشغب وإثارة الفتن؛ ولذا شن عليهم چنگيز خان حربًا شعواء في منتهى القسوة، ولم ينج منهم إلا الهاربين، أو الذين اختبأوا لدى أقربائهم.

٤- **قبيلة أويرات (أويراد):** وهي من أصل مغولي، إلا أن لغتها تختلف قليلًا عن لغة القبائل المغولية الأخرى، وهي قبيلة كثيرة العدد كانت تقيم في المنطقة الواقعة بين بحيرة بايكال ونهر أونن .

٥- **قبيلة النّايمان:** وهي من قبائل الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولي، وكانوا يقيمون في أقصي الغرب، حيث كانوا يقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخن، ومنحدرات جبال التاي، وحول البحيرات الواقعة في تلك المنطقة، ويدينون بالمسيحية مثل قبيلة كرايت؛ ولكنهم كانوا في نزاع معهم، وقد أخذ "النايمان" مبادئ ثقافتهم من الأويغور جيرانهم في الجنوب؛ وكان "النايمان" من البدو الرُّحل، يقيم بعضهم في مناطق الجبال الوعرة، ويقيم البعض الآخر في الصحاري .

٦- **قبيلة قيات:** وتعرف باسم (بورجقين)، وهي طائفة مغولية صغيرة جاء منها چنگيز خان، وقد كانوا يعيشون في جبال قرا قورم، وشواطئ الشّعب العليا عند أنهار "تولا، أرنون، وكيرولين"، وتوالى نزول القبائل المغولية على ضفاف هذه الأنهار بالقرب من هذه القبيلة ابتداء من "كيرولين" شرقاً حتى بحيرة "بايكال" غرباً.

٧- **قبيلة القرغيز:** وهم من الترك الذين كانوا ينزلون في أعالي نهر "ينسي" ، وكان أميرهم يلقب بـ"خاقان"، اشتهروا سياسياً حوالي سنة ٢٥٠هـ، ٨٤٠ م، حينما تغلبوا على "الأويغور" من منغوليا، ولكن "الخطا" هزموهم، وطردوهم

من منغوليا في أوائل القرن الرابع الهجري، ثم احترفوا الزراعة، وبعد ذلك خضعوا للمغول زمن "جنكيز خان" سنة ٦٢٥هـ/ ١٢١٨م.

٨- **أتراك القرَلق:** وتقع مملكتهم إلِى الجنوب من مملكة الأويغور، وتشمل الحوض الأدنى لنهر تاريم، وهؤلاء الأتراك كانوا يعرفون في الشعر الفارسي باسم "خَلُّخ"، واشتهروا باعتدال القوام، وحسن الصورة .

٩-**الأتراك القراخطائيون:** وكانت لهم دولة كبيرة بين مملكة الخوارزمشاهيين ومواطن المغول الشرقيين إبِان الاجتياح المغولي، وكانوا يفرضون الجزية على أتراك القرلق والأويغور .

١٠- **الترك الأويغور:** كانوا يؤمنون بالديانة المانوية، وكانوا أكثر تحضرًا مَّن سائر قبائل الترك والمغول بصفة عامة، وكان موطنهم شمال شرق تركستان الشرقية الحالية، وشمال بحيرة لب نور ونهر تاريم، أي مدن تورفان وبيش باليغ (جوتشن الحالية)، وبرقول وقره شهر[١] .

توحيد القبائل المغولية تحت قيادة چنگيز خان :

لا شك أن "چنگيز خان" أحد أقسى الغزاة الذين ابتليت بهم البشرية، وأكثرهم سفكًا للدماء، وأجرؤهم على انتهاك الحرمات، وقتل الأبرياء، وحرق المدن والبلاد، وإقامة المذابح لآلاف من النساء والولدان والشيوخ، لكن هذه الصورة السوداء تخفي جانبًا آخر من الصورة، حيث التمتع بصواب الرأي، وقوة العزيمة، ونفاذ البصيرة، فكان يجلّ العلماء ويحترمهم، ويلحقهم بحاشيته

---

(١) انظر: عباس اقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د.عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، الإمارات ٢٠٠٠م، ص٤٨- ٤٩ ، الدولة المغولية، د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٥- ٣١، علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ١٨- ٢٢ ، ٢٨-٣٣

، وكان له مستشارون من الأمم التي اجتاحها من ذوي الخبرة، كان لهم أثر لا يُنكَر في تنظيم الدولة والنهوض بها، والارتقاء بنواحيها الإدارية والحضارية.

شهدت منغوليا مولد "تيموچين بن يسوكاي بهادر" عام ٥٤٩هـ/١١٥٥م، وكان أبوه رئيسًا لقبيلة "قيات" المغولية، وعُرف بالشدة والبأس؛ فكانت تخشاه القبائل الأخرى، وقد سمّى ابنه "تيموچين" بهذا الاسم تيمنًا بمولده في يوم انتصاره على إحدى القبائل التي كان يتنازع معها، وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذي كان يحمل هذا الاسم. ولم تطُل الحياة بأبيه؛ فقد توفِّي عام ٥٦١هـ/١١٦٧م، تاركًا حملًا ثقيلًا ومسئولية جسيمة على كاهل "تيموچين" الابن الأكبر الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل "قيات"، فانفض عنه حلفاء أبيه، وانصرف عنه الأنصار والأتباع، واستغلت قبيلته صغر سنه، فرفضت الدخول في طاعته، على الرغم من كونه الوريث الشرعي لرئاسة قبيلته، والتفَّت حول زعيم آخر، وفقدت أسرته الجاه والسلطان، وهامت في الأرض تعيش حياة قاسية، وتذوق مرارة الجوع والفقر والحرمان. نجحت أم "تيموچين" في أن تجمع شمل الأسرة المستضعفة، وتلم شعثها، وتحث أبناءها الأربعة على الصبر والكفاح، وتفتح لهم باب الأمل، وتبث فيهم العزم والإصرار، حتى صاروا شبابًا أقوياء، وبخاصة تيموچين الذي ظهرت عليه إمارات القيادة، والنزوع إلى الرئاسة، مع التمتع ببنيان قوي جعله المصارع الأول بين أقرانه، وقد تمكن "تيموچين" بشجاعته من المحافظة على مراعي أسرته؛ فتحسنت أحوالها، وبدأ يتوافد عليه بعض القبائل التي توسمت فيه القيادة والزعامة، كما تمكن هو من إجبار المنشقين من الأتباع والأقارب على العودة إلى قبيلتهم، ودخل في

صراع مع الرافضين للانضواء تحت قيادته، حسمه آخر الأمر لصالحه، حتى دانت قبيلته "قيات" كلها بالولاء له، وهو دون العشرين من عمره .

سعى "تيموچين" منذ عام ٥٩٢هـ/١١٩٧م لتوحيد قبائل المغول، فدخل في صراع مع حليفه زعيم قبيلة "كرايت"–الذي كان حليفًا لوالده قبله وظل حليفًا له–، وكانت العلاقات قد ساءت بينهما بسبب الدسائس والوشايات، وتوجس "أونك خان" زعيم "كرايت" من تنامي قوة تيموچين وازدياد نفوذه؛ وخشي ألا يتمكن يوماً من السيطرة على أمره، فانقلب حلفاء الأمس إلى أعداء وخصوم، واحتكما للسيف، وأسفرت الحرب بينهما عن انتصار تيموچين، وقتل "أونك خان" عام٥٩٩هـ/١٢٠٢م، كما استولى على عاصمته "قرا قورم"، واتخذها قاعدة لملكه. وقد زادت تلك الموقعة من قوة تيموچين، وأوقعت الرعب بالنفوس، فأسرعت القبائل المترددة لتقديم فروض الخضوع والطاعة، وحينما أرسل رسله إلى قبائل أويرات وقنقرات يطلب إليهم الدخول في طاعته، قبلوا على الفور، فشملهم بالإنعام والرعاية. وبعد انتصار تيموچين على زعيم قبيلة كرايت، أصدر أوامره بالقضاء على من تبقى من قبيلة مركيت، وكان زعيمها حليفاً لقبيلة كرايت، فلم ينج أحد منهم من سيف تيموچين وقواته إلا القليل منهم، ومن نجا منهم استطاع الاختفاء عند أقاربهم، بينما هرب عدد منهم باتجاه الشمال إلى بلاد القبجاق[١].

عقب انتصار تيموچين على قبيلتي كرايت ومركيت، بدأ يعد العدة للإطاحة بقبيلة النايمان، وقد وصلت أخبار هذه الانتصارات إلى مسامع زعيم قبيلة النايمان "تايانك خان"، فبدأ باستعداداته العسكرية لمجابهته،

---

(١) عباس اقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د.عبد الوهاب علوب، ص٥٧– ٥٨

فاستنجد بقبيلة الانكوت لمساعدته في حربه مع تيموچين، غير أن زعيم هذه القبيلة بعث برسوله إلى تيموچين يُطلعه على ما عرضه عليه زعيم قبيلة النايمان، وفي سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، قاد تيموچين حملة عسكرية كبيرة ضده ، واشتبك الطرفان في معارك كبيرة أصيب خلالها تايانك خان بجروح بليغة توفى على أثرها بعد ذلك، وبذلك فرض تيموچين سيطرته على قبيلة النايمان ، وأسرت زوجة زعيم القبيلة، وأخذت إلى تيموچين، فتزوج منها[١]. وعقب هذه الهزيمة التي لحقت بقبيلة النايمان تمكن أحد أبناء تايانك خان ويُدعى "كوچلك خان" من الهرب مع عدد من أتباعه فارّين من السيف المغولي الذي يطاردهم، فهرب أولاً باتجاه الغرب، وسلك في رحلة هروبه الطريق إلى بلاد الخطا، فاضطر بعض أتباعه ومؤيديه من أفراد قبيلة النايمان للتخلي عنه.

بعد إخضاع قبيلة النايمان، حقَّق تيموچين النصر على عدد آخر من طوائف المغول حول التبت وشرق تركستان الحالية، ففي سنة ٦٠٣هـ، أنزل الهزيمة بقبيلة القرغيز، وقاد جيشه لسحق كوچلك خان بن تايانك خان، ولكن كوچلك خان لم يستطع المقاومة فلاذ بالفرار من جديد، وذهب بعد عناء كبير إلى "گورخان" زعيم القراخطائيين، ونزل عنده مكرماً، حتى أن گورخان زوَّجه ابنته، وساعده لاستعادة مملكة أبيه الضائعة .

أصبح تيموچين بعد انتصاراته أقوى شخصية مغولية، فنودي به خاقانًا، وعُرف باسم "چنگيز خان"؛ أي إمبراطور العالم في عام ٦٠٣هـ، وبعد ذلك قضى ثلاث سنوات عُني فيها بتوطيد سلطانه، والسيطرة على المناطق التي يسكنها المغول، حتى تمكن من توحيد منغوليا بأكملها تحت سلطانه، ودخل "الأويغور" في طاعته .

---

(١) انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول ، ص٣٩-٤٨

تأسيس الإمبراطورية المغولية

لم تقتصر جهود چنگيز خان على توحيد القبائل المغولية، بل كانت خطوة توحيد القبائل نقطة انطلاق لتأسيس إمبراطورية تشمل معظم أرجاء العالم آنذاك، ولذا تحرك في جميع الاتجاهات، وواجه خصومًا من جنسيات وثقافات متنوعة، كما يلي :

الحروب المغولية الصينية :

اصطدم چنگيز خان بإمبراطورية الصين التي كانت لا تكف عن تحريض القبائل التركية والمغولية ضد بعضها؛ كي ينشغلوا بأنفسهم وتأمن هي شرهم، فأراد چنگيز خان أن يضع حدًا لتدخل الصينيين في شئون القبائل المغولية، وفي الوقت نفسه تطلع إلى ثروة الصين وكنوزها .

أ – مملكة التانغوت:

هاجم چنگيز خان أولاً مملكة التانغوت، أو مملكة سي– هيا، في التبت ، وهي أضعف الممالك الثلاث التي تقاسمت النفوذ في الصين، فباستيلائه على هذه المملكة يستطيع التحكم في طريق الصين إلى تركستان ويحاصر من جهة الغرب مملكة كين، العدو التقليدي للمغول .

دخل چنگيز خان ثلاث حروب ضد مملكة التانغوت في السنوات ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، ٦٠٤هـ/١٢٠٧م، ٦٠٦هـ/١٢٠٩م فاكتسح جميع أراضيها ، ولكنه لم يفلح في دخول عاصمتها ننج– هسيا التي حاصرها طويلاً، ولم يفك عنها الحصار إلا بعد أن وافق حاكمها على القبول بالسيادة المغولية على أراضيه عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، ودفع الجزية لخان المغول، وبذلك أصبح چنگيز خان سيد مملكة التانغوت، أي إقليم كانسو الصيني الحالي، وسهوب

أوردوس وألدشان التي كانت تعد منطقة حدودية مع الصين، فكان على القائد المغولي، إذا ما أراد أن يتخذ لنفسه موطئ قدم في أراضي الصين أن يهاجم مملكة كين التي كانت تتبع لها بعض طوائف الترك والمغول .

ب- مملكة كين "مملكة الذهب":

واجه چنگيز خان، في هجومه على مملكة كين القوية، صعوبات لم يصادفها خلال غزوه لمملكة التانغوت، وتمثلت تلك الصعوبات في التحصينات المنيعة، وحروب الحصار التي لم يكن جيشه قد اعتاد عليها بعد، إضافة إلى وجود سور الصين العظيم، وحصونه الممتدة من الشرق إلى الغرب، مما شكل خط دفاع مستمر لحماية مملكة الذهب، وتوجهت أنظار چنگيز خان إلى التحالف مع قبائل الأنغوت- المقيمة شمال سور الصين في منغوليا الداخلية حالياً-، ونجح في إقامة حلف مع ملكها، بعد أن وافق على تزويج إحدى بناته للملك الأونغوتي الذي كان يعد حارساً للحدود الصينية، ومراقباً أميناً فيما وراء السور العظيم، نظراً لموقع مملكته الإستراتيجي، والمعاهدات المعقودة بينه وبين ملك كين، ولهذا فعندما حالف چنگيز خان مملكة الأنغوت، بدا وكأنه فكك وسائل دفاع مملكة كين، دون أدنى جهد ممكن، وأوصل حدود إمبراطوريته إلى الخطوط الأمامية من مواقع الخصوم. وكان الخان المغولي لديه بدائل متعددة لتحقيق أهدافه، فإذا عجز عن تحقيقها بالقوة فالحل بالسياسة والحيلة والرأي. وفي عام ٦٠٧هـ /١٢١١م، جمع چنگيز خان جيشاً ضخماً في منغوليا الشرقية، على ضفاف نهر "كيرولين" استعداداً للهجوم على بكين، ووصل جيشه إلى شمال الصين ، ودمر البلاد التي اجتاحها، دون أن ينجح في الاستيلاء على مدنها الرئيسية، فقد كان ينقصه المهارات الهندسية لذلك، كما وقف جيشه طويلاً

وهو ينتظر أمام قلاع سور الصين، ومضى عاما ٦٠٨هـ/ ٦٠٩هـ/١٢١١م /١٢١٢م، ولم يسيطر چنگيز خان سوى على مراكز قليلة الأهمية، لكون تلك البلاد صعبة التضاريس، وتحين چنگيز خان الفرصة السانحة في ربيع الأول٦٠٨هـ/١٢١٢م عندما ثار أحد أمراء الخطاي الخاضعين لسيادة كين، وأعلن تأييده للفاتح المغولي، فأسرع الأخير إلى دعم الأمير الثائر، وأرسل أحد قادته "جيبي" إلى جنوب منشوريا، لكن القوة المغولية انهزمت أمام أسوار الإقليم، فتراجع جيبي إلى منطقة مجاورة ليعيد تنظيم قواته، ثم باغت المدينة، واحتلها، ونصّب ملكاً على شعب الخطاي تحت السيادة المغولية.

توجه چنگيز خان إلى الصين للمرة الثانية في عام٦١٠هـ/١١٢٣م، وكان هدفه السيطرة على طريق كالجان–بكين الإستراتيجي، فاستولى على بعض المدن الصينية، ثم وصل إلى مدخل سهل شرقي الصين الكبير، فسيطر بذلك على الطريق المؤدية إلى الأراضي الصينية، وفي المنطقة الشمالية الشرقية استولى على إحدى القلاع المهمة، كما استولت قواته على المعقل الهام الذي يقع بين خطي سور الصين، ويسيطر على إقليم شان–سي.

انتهز چنگيز خان حالة الفوضى الناتجة عن قيام أحد الأمراء بقتل ملك الذهب في ربيع الآخر٦١٠هـ/آب/أيلول ١٢١٣م، وقام بهجوم واسع النطاق على وسط مملكة كين من ثلاثة محاور:

– تولى چنگيز خان بنفسه قيادة الجيش الأوسط ومعه ابنه تولوي"تولي"، وزحف من السهل العظيم، سهل الصين الشرقي إلى وسط الصين، متجنبًا الهجوم على بكين بعد أن وضع قوات قبالتها، ثم انعطف إلى الجنوب، فنهب المدن تباعاً، بدءً من الجنوب حتى بكين شمالاً، ومن بكين قطع چنگيز خان مسافة جاوزت ٣٠٠ميلًا من الشمال إلى الجنوب، ولم يتوقف

إلا عند وصوله إلى النهر الأصفر حيث لم تستطع خيوله عبور النهر لغزارة مياهه وسرعة جريانه، ثم توجه إلى المنطقة الجنوبية الشرقية، حيث احتل بعض المدن، وسقطت بيده القلاع الصينية الواحدة تلو الأخرى، باستثناء بعض الحصون المنيعة التي عجز عن اقتحامها، ثم رجع سور الصين العظيم، بعد نهب سهل الصين الشرقي.

– أما الجناح الأيمن من الجيش، الذي قاده جوجي وجغتاي وأوكتاي، أولاد چنگيز خان، فسار إلى القطاع الغربي، ثم توجه عبر حوض نهر"فن"، وبسط سيطرته على المدن الواقعة على ضفتيه وفي جواره، كما استولى على حاضرة إقليم شان سي، ثم رجع إلى سور الصين العظيم .

– أما الجيش الثالث الذي قاده "قاسار" أخو چنگيز خان، فسار بمحاذاة بكين متبعاً الطريق الساحلية شمالاً، وأخضع بعض المناطق، ثم توجه للسيطرة على منشوريا العليا، وفي عام ٦١١هـ/١٢١٤م انتهز چنگيز خان فرصة مبادرة إمبراطور الصين للصلح، على أن يضم چنگيز خان كافة البلاد التي فتحها في الصين، سواء داخل سور الصين أم خارجه، فأعلن خان المغول موافقته، ولكن الإمبراطور الصيني تراجع عن فكرة الصلح، وشرع في تحصين قلاعه وحصونه، ونقل عاصمة ملكه إلى جنوب البلاد، لتكون أقرب إلى ساحة القتال، تاركاً بكين في عهدة ولده، فما كان من چنگيز خان إلا أن استدار بجيوشه، وعاد مسرعاً إلى الصين واشتبك مع الجيش الصيني في معركة فاصلة سقطت على أثرها بكين في أيدي المغول عام٦١٢هـ/١٢١٥م[1]، وكان لسقوطها دوي هائل، ونذير للممالك الإسلامية

([1]) انظر: د. أحمد حطيط: حروب المغول، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٤م، ص٢٠– ٢٨

التي آوت الفارّين من أعدائه، وأظهرت ما كان يتمتع به الرجل من مواهب عسكرية في ميادين الحرب والقتال .

القضاء على دولة النايمان :

بعد أن فرغ چنگيز خان من حربه مع الصين، اتجه ببصره إلى الغرب، وعزم على القضاء على أعدائه من قبائل النايمان، وكان كوچلك خان بن تايانك زعيم النايمان قد تمكن بالتعاون مع السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية من اقتسام الدولة القراخطائية عام٦٠٧هـ/١٢١٠م، وأقام دولة امتدت من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية، لكنه لم ينعم كثيرًا بما أقام، فقد أرسل إليه چنگيز خان جيشًا كبيرًا إلى كاشغر يقوده أحد رجاله الأكفاء(جَبه نويان)، فتح كاشغر دون عناء، ولاذ كوچلك بالفرار. وكان أول ما فعله جبه نويان هو أن سمح بحرية الأديان، وألغى القيود التي كان كوچلك قد فرضها على مسلمي ختن وكاشغر بعد استيلائه عليهما. وفرّ كوچلك من كاشغر إلى بدخشان دون أن يبدى أية مقاومة في مواجهة المغول، وقُتل على أبواب بدخشان. وأخذ أتباع الخان المغولي يعملون السيف في كل من يصادفونه من عشيرة النايمان. وتمكن چنگيز خان من القضاء على كوچلك وجيشه، وإزالة دولة النايمان عام ٦١٥هـ/١٢١٨م. وقد كان للقضاء على دولة النايمان، وقمع فتنة كوچلك بتلك السهولة تأثير عميق على مزاج السلطان محمد خوارزم شاه، لأنه قبل هذه الواقعة بعدة سنوات كان ملكًا عظيم الشأن كخوارزم شاه الذي تحاشى الدخول في مواجهة معه، بينما تمكن أحد قادة چنگيز خان من استئصال شأفته بهذه السهولة[1].

([1])عباس اقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ص٤٨- ٤٩

الصدام بين الدولتين الخوارزمية والمغولية :

بعد أن استولى "چنگيز خان على مساحات شاسعة من بلاد الصين، وتتويج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين(٦١٢هـ/١٢١٥م)، وعقب زوال الدولة القراخطائية، وانتصارات علاء الدين خوارزم شاه في صحراء القرغيز، تجاورت الدولتان الخوارزمية والمغولية، ولم يكن هناك مفر من الصدام بينهما، وحدث ما لم يكن منه مفر، حيث التقى السلطان علاء الدين وهو في طريقه قاصدًا صحراء القرغيز موطن عشائر القبچاق بفرقة من الجيش المغولي بقيادة "جوجي- توشي- بن چنگيز خان"؛ تطارد المتمردين التتار، فأرسل المغول رسالة إلى السلطان بأنهم قدموا فقط لمحاربة الثوار والمتمردين، ولكن علاء الدين انتابه الغرور بقواته، وأمر بمهاجمتهم، ورغم ضخامة جيشه، لكنه لم يفلح في تحقيق نصر حاسم على تلك الفرقة؛ لمهارتها في القتال، والتي اندهش لها الجيش الخورازمي. وكان لهذا اللقاء أثر في نفس السلطان الخوارزمي، فشعر بخطر هؤلاء الجيران الجدد، ولم يأمن غدرهم، وبدأ يتابع أخبارهم، وقد عدّ الفريقان هذه الحادثة خطأ، كما أن چنگيز خان لم يشأ أن يجاهر السلطان العداء، بل حرص أول الأمر على مسالمته، وسعى لعقد معاهدة تجارية وتبادل الرسل والسفراء معه .

أسباب الغزو المغولي للخوارزميين:

فكر چنگيز خان في أن أفضل طريقة لإسقاط الخلافة العباسية في العراق هي التمركز أولاً في منطقة أفغانستان وأوزبكستان، لأن المسافة كبيرة بين الصين والعراق، ولابد من وجود قواعد إمداد ثابتة للجيوش المغولية في منطقة متوسطة بين العراق والصين، كما أن هذه المنطقة التي تعرف بالقوقاز غنية بثرواتها الزراعية والاقتصادية، وكانت من حواضر الإسلام

المشهورة، وكنوزها كثيرة، وأموالها وفيرة، هذا بالإضافة إلى أنه لا يمكنه محاربة العراق وفي ظهره شعوب مسلمة تحاربه، أو تقطع عليه خطوط الإمداد، كل هذه العوامل جعلت چنگيز خان يفكر أولاً في خوض حروب متتالية مع هذه المنطقة الشرقية من الدولة الإسلامية، والتي تعرف في ذلك الوقت بالدولة الخوارزمية، وكانت تضم بين طياتها عدة أقاليم إسلامية مهمة مثل أفغانستان وأوزبكستان والتركمانستان وكازاخستان وطاجكستان وباكستان وأجزاء من إيران، وكان چنگيز خان في شبه اتفاق مع محمد خوارزم شاه على حسن الجوار، ومع ذلك فلم يكن چنگيز خان من أولئك الذين يهتمون بعهودهم، أو يحترمون اتفاقياتهم، ولكنه عقد هذا الاتفاق مع ملك خوارزم ليؤمن ظهره إلى أن يستتب له الأمن في شرق آسيا، أما وقد استقرت الأوضاع في منطقة الصين ومنغوليا، فقد حان وقت التوسع غرباً في أملاك الدولة الإسلامية، وحتى تكون الحرب مقنعة لكل الطرفين، لابد من وجود سبب يدعو إلى الحرب، وإلى الادعاء بأن الاتفاقيات لم تعد سارية، وقد بحث چنگيزخان عن سبب مناسب، وانتظر حتى جاء ذلك السبب الرئيسي، ولكن ثمة أسباب خفية كانت هي الباعث لهذا الغزو، ومن أهمها:

١- **القحط الذي كان يسود أقاليم آسيا الشرقية:** حيث كانت عاصمة چنگيزخان(قراقورم) وما ترتب عليه من قحط نشأت عنه حاجتهم الدائمة إلى الكثير من المواد الغذائية اللازمة لحياتهم وحياة دوابهم، كما كانوا في حاجة ماسة لاقتناء ما يقيهم من ملبوسات وغيرها، وكان لقيام علاء الدين محمد خوارزم شاه بمنع الكسوات والأقوات، وغيرها عنهم، وإغلاقة طرق التجارة في وجوههم، أثره في توجيه أنظارهم إلى الدولة الخوارزمية .

٢- **حالة اليقظة والنشاط المغولي:** كان المغول في هذه الفترة في حالة يقظة ونشاط، يعيشون أمجاد انتصاراتهم السابقة في الصين وغيرها، وبسبب ذلك وضعوا لأنفسهم خطة للسيطرة على المناطق المجاورة لهم، وقد سمعوا عن اتساع الدولة الخوارزمية التي غدت أملاكها مجاورة لهم، وعن ثراءها الضخم وحضارتها الرائعة، فتطلعوا إليها.

٣- **قتل التجار المغول ومصادرة أموالهم:** وأما السبب المباشر والرئيسي، فهو مقتل بعض رجال المغول الذي أشعل الحرب، حيث كان چنگيز خان قد أرسل إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه عند عودته إلى مدينة بخارى، بعد محاولته الفاشلة لغزو بغداد في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م وفداً من ثلاثة تجار مسلمين، هم: محمود الخوارزمي وعلى خواجه البخاري ويوسف كنكا الأتراري، محملين بالهدايا من منتجات آسيا الوسطى رغبة في قيام علاقات تجارية وطيدة تخدم الطرفين، وأرسل مع الوفد رسالة وصفها بعض المؤرخين بأنها رقيقة من مغولي ذلك الوقت، يعرض فيها المسالمة والموادعة، وعقد اتفاق تجاري بين البلدين، وهذا نص الرسالة:(ليس يخفى علينا عظيم شأنك، وما بلغت من سلطانك، وقد علمت بسطة ملكك، وإنفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات، وأنت عندي مثل أعز أولادي، وغير خافٍ عليك أيضاً أنني ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك ، وقد أذعنت لي قبائلهم، وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثارات العساكر، ومعادن الفضة، وأن فيها الغنية عن طلب غيرها، فإن رأيت أن تفتح للتجار في الجهتين سبيل التردد، عمت المنافع وشملت الفوائد). وبغض النظر عما أثير من جدل بين بعض الكتاب حول الرسالة، وهل احتوى مدلولها على ازدراء لشأن علاء الدين أو على إطراء له وملاطفة، فإن علاء الدين أظهر

استياءه منها، وبيت نية العدوان على چنگيز خان، واستدعى أحد رسله وهو محمود الخوارزمي، ووعده بالإحسان إن صدقه فيما يسأله، وأعطاه جوهرة نفيسة علامة الوفاء بما وعد، وشرط عليه أن يكون عيناً له على چنگيز خان، فأجابه إلى ما سأل رغبة ورهبة، ثم بدأ يستخبره عن حقيقة ما جاء في رسالة خان المغول إليه، فلما صدقه الجواب غضب وعاد يسأل عن عدد عسكر خان المغول في حدة، هنا أعرض الرسول عن الإجابة الصحيحة إبقاء على حياته، وطلباً للسلامة، ورد في حذق وكياسة: ليس عسكره بالنسبة إلى هذه الأمم والجيش العرمرم إلا كفارس في خيل، أو دخان في جنح ليل، ولكن علاء الدين عرف رغم هذه الإجابة حقيقة موقفه، فصرف الرسل، وقد وافق على تردد التجار بين البلدين .

على إثر توقيع هذا الاتفاق التجاري حمل چنگيز خان بحزم على تأمين التجارة بين شرق آسيا حيث ممتلكاته، وغربها حيث دولة خوارزم وما يليها غرباً، وسعى جاداً لتوسيع نطاقها، وتأمين طرقها من قطاع الطرق، وتزويد المسالك الرئيسية بحراس، وأصدر أوامره إلى هؤلاء الحراس بمرافقة كل أجنبي يحمل تجارة حتى يوصلوه إلى معسكرات المغول. اهتم چنگيز خان بالبعد الاقتصادي، وسارت التجارة بين شرق آسيا وغربها بنظام تام، وحدث في ذلك العام أن وصلت إلى بلاد المغول قافلة تجارية قوامها ثلاثة من أهل بخارى يحملون بضائعهم من الثياب المذهبة وغيرها مما يليق بخانات المغول، وقد أمر چنگيز خان بإعطائهم ثمناً مجزياً من الذهب والفضة عن بضاعتهم، عقب ذلك أصدر أوامره إلى الأولاد والخواتين والأمراء أن ينفذوا معهم جماعة من أصحابهم ومعهم الذهب والفضة، ليجلبوا من طرائف البلاد ونفائسها ما يصلح لهم، وقد اختلف المؤرخون في عدد

هؤلاء التجار، فذُكر أنهم أربعة، وقيل أنهم مائة وخمسون تاجراً ما بين مسلم ونصراني وتركي، وقدرهم الجويني بأربعمائة وخمسين رجلاً كلهم من المسلمين. ومهما يكن أمر عددهم فإن چنگيز خان بعث معهم رسولاً مغولياً من قبله يحمل رسالة إلى السلطان الخوارزمي يقول فيها: إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمنهم سالمين غانمين، وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الأطراف، فينبغي أن يعودوا إلينا آمنين، ليتأكد الوفاق بين الجانبين، وتتحسم مواد النفاق من ذات البين .

وصل تجار المغول إلى مدينة "أترار" الواقعة في أقصى الحدود الشرقية للدولة الخوارزمية، وكانت تعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها، وكان بها حاكم من قبل خوارزم شاه يدعى "ينال خان"، وهو ابن خال خوارزم شاه، في عشرين ألف فارس، فطمع في أموالهم، وكاتب السلطان يخبره بأن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى أترار في زي التجار وليسوا بتجار، بل هم جواسيس ينقلون الأخبار إلى خان المغول، وأخذ يحثه على القضاء عليهم، ويغريه بما معهم من أموال، ويطلب، إذنه في مصادرتهم وقتلهم، فطلب السلطان منه التحفظ عليهم، حتى يرى رأيه بصددهم، لكن "ينال" قتلهم، وصادر تجارتهم، واستولى على ما بحوزتهم[1]، وذكر بعض المؤرخين أن "علاء الدين" هو الذي أمر بهذا، ولم يقدم واليه على هذا التصرف الأحمق من تلقاء نفسه .

كان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بين الدولتين بعد الحادث الطائش الذي أقدم عليه السلطان، دون أن يدري أن كل قطرة من دماء هؤلاء التجار كلفت المسلمين سيلاً من الدماء لم ينقطع لفترة طويلة، وأرسل چنگيز خان إلى

---

(1) انظر: د.علي محمد الصَّلاَّبِّي: المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ط١، لبنان ٢٠٠٩م ص٨٣- ٨٧

السلطان مطالبًا بتعويضه عن الخسائر، وتسليم حاكم "أترار"؛ ليقتص منه طالما تصرف من تلقاء نفسه، لكن السلطان رفض احتجاجه، ولم يلجأ للّين، وتملكته العزة بالإثم، فقتل الوفد الذي يحمل الرسالة دون تبصر بعواقب الأمور، قاطعًا كل خيط لإحلال السلام محل الحرب .

نشوب الحرب بين الخوارزميين والمغول :

كان قتل الرسل يعني إعلان الحرب بين الدولتين، وقطع كل أمل لحسن الجوار وحدوث السلام، كما كانت مذبحة أترار وموقف السلطان من أعضاء السفارة كافية لإثارة غضب چنگيز خان، وإصراره على الانتقام؛ حيث قرَّر مهاجمة علاء الدين خوارزم شاه .

١- اكتساح بلاد ما وراء النهر:

كان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد بعث- على إثر مقتل تجار المغول وهو مقيم ببخارى- بعض جواسيسه إلى بلاط چنگيز خان، للوقوف على مدى استعداد المغول للحرب، وأخبروه بعد عودتهم: إن عدد المغول لا يبلغه الحصر، وأنهم من أصبر الناس على القتال، وأعرفهم بفنونه، ولهم مصانع للسلاح، تكفي حاجتهم منه، ومواد تموينهم وافرة، وأوضح أولئك الجواسيس أن حقائق الأمور هناك تشير إلى أنه لا قبل لأحد بمقاتلة المغول. ودرس علاء الدين بإمعان هذه المعلومات، فأدرك فداحة ما وقع فيه من خطأ بقتله تجار المغول ورسلهم، وندم على ذلك، ولكنها ليست ساعة الندم، ثم أخذ يعمل فكره ويدبر أمره، واستشار رجلاً يثق به يدعى "الشهاب الخيوفي الفقيه"، فأشار عليه بإعلان النفير العام، ودعوة من بقي من ملوك الأطراف ليلحقوا به في جيوشهم، فإذا اكتملت تعبئة الجيوش سار بها إلى جانب نهر سيحون حيث حدود دولته الشرقية مع المغول، غير أن أمراء

وأرباب المشورة في دولته أشاروا عليه بأن يترك المغول حتى يعبروا سيحون ، ويتقدموا في الصحارى والمضايق والوديان التي يجهلون مسالكها، حتى إذا وصلوا بخارى كان التعب قد حلّ بهم، وبذلك يمكن الظهور عليهم، وإفناؤهم عن بكرة أبيهم، ولم يلبث خوارزم شاه أن بدأ تجهيز جيشه للقاء المغول، وكان چنگيزخان بدوره يجهز جيشاً جرارًا .

أ- الاستيلاء على مدينة أترار:

بدأ چنگيز خان غزوه لشرق الدولة الإسلامية في عام ٦١٥هـ/١٢١٨م، فقد وصل إلى حافة نهر سيحون على مقربة من مدينة أترار على رأس جيش جرار قوامه نحو ستمائة ألف من خيرة جنده، وكانت غاية ذلك الجيش في المرحلة الأولى الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، الواقعة بين نهر سيحون في الشرق، وجيحون في الغرب، لذا وضع خطته للانقضاض على هذه البلاد من أربعة جوانب، بحيث يتعذر على الجيش المدافع صد الهجوم، فقسم جيشه الجرار إلى أربعة جيوش تحركت في وقت واحد لتنفيذ غايتها، وبدأ الخوارزميون بمهاجمة قوات المغول، وسرعان ما قامت الحرب سجالاً بين الفريقين، وكان الجانب المغولي فيها بقيادة أحد أبناء چنگيز خان، وقدر عدد القتلى من المسلمين عشرين ألفاً، ومن المغول بما لا يحصى كثرة، وفي الليلة الرابعة من القتال افترق الجيشان، ورجع المسلمون إلى بخارى حيث أمر خوارزم شاه أهلها وأهل سمرقند بالاستعداد للحصار، وترك في بخارى عشرين ألفاً، وفي سمرقند خمسين ألفاً، ثم عاد إلى خوارزم وخراسان لجمع الجند، وكانت مدينة أترار محصنة تحصيناً قوياً، وبها حامية قوامها خمسون ألف رجل يعاونها جيش آخر يقدر بعشرة آلاف على رأسه وزير خوارزم شاه، ودام الحصار خمسة أشهر، مما ترتب عليه عجز الجيش

الخوارزمي عن المقاومة، ثم هزيمته، فتيسر لقوات المغول الاستيلاء على مدينة أترار، وكان هجوم المغول على هذه المدينة عنيفاً، فقد كانوا يتوقون للثأر من حاكمها وقاتل التجار(ينال خان)، وقد استولوا على المدينة عنوة (٦١٦هـ/١٢١٩م) ونهبوها وطاردوا سكانها، وقد تقهقر ينال خان إلى قلعة المدينة، واحتمى بها قرابة شهر، فقد في أثناءه معظم رجاله، ومع ذلك ظل يدافع دفاع اليائس المستميت، لكنه في النهاية وقع في أيدي المغول الذين قادوه إلى معسكر چنگيز خان، وكان آنذاك أمام مدينة سمرقند، ولكي ينتقم خان المغول منه عمد إلى التنكيل به، فأمر بعض رجاله أن يصهروا كمية من الفضة ويسكبوها في عينيه وأذنيه، وهكذا نفذ وعيده في قاتل تجاره ورسله، وبسقوط أترار سقط مفتاح بلاد ما وراء النهر.

ب- الاستيلاء على مدينة جند:

أما عن الجيش الثاني الذي كان تحت قيادة "جوجي" أكبر أبناء چنگيز خان، فكانت قبلته مدينة(جند) إحدى معاقل المسلمين على نهر سيحون، وقد وصل هذا القائد إلى هذه المدينة بعد أن استولى على كثير من المعاقل والمدن الواقعة على نهر سيحون، وتمكن بذلك من السيطرة على مجرى هذا النهر كله تقريباً، فلما اقترب من مدينة "جند" غادرها حاكمها ليلاً تاركاً لسكانها أمر الدفاع عن أنفسهم وعن مدينتهم، وقد نصب المغول المجانيق حول المدينة استعداداً لتحطيم أسوارها، وأمام هذا الوضع انقسم الأهالي على أنفسهم، فرأى فريق منهم ضرورة الدفاع عن المدينة، ورأى فريق آخر أنه لا فائدة من الدفاع، وآثر أن يسلم المدينة في الحال، لعلهم يجدون النجاة سيوف المغول، ومن الواضح أن هذا الرأي كان يناصره أكثرية السكان بدليل أن المغول لم يجدوا مقاومة داخل المدينة، وهم يدّكون أسوارها من جميع

جهاتها، وأخيراً سلمت المدينة، وبعد أن وضع جوجي على المدن المفتوحة حكاماً مخلصين، أصدر أوامره لجنوده بالعبور إلى إقليم خوارزم .

ج- اجتياح بنكت وخجنده:

أما ثالث جيوش چنگيزخان التي سيّرها للاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، فقد سار إلى مدينة بنكت على نهر سيحون وخجندة إلى الجنوب منها، وتمكن المغول من دخول مدينة "بنكت" بعد أن سلمها الأهالي، وكان المغول قد أمّنوهم على حياتهم، لكنهم لما دخلوا المدينة فصلوا الجند عن المدنيين، واعملوا القتل في رقاب الفريق الأول، واختاروا من الفريق الثاني خيرة شبابه لينتفعوا به في أعمالهم الحربية، ثم سارت هذه الفرقة المغولية نحو الجنوب صوب مدينة خجندة على نهر سيحون، ومما يلفت النظر أن (تيمور ملك) قائد حاميتها الخوارزمية، فضّل مغادرة المدينة مع ألف من جنوده إلى جزيرة صغيرة وسط النهر، كي يأمن غارات المغول، ويبتعد عن مرمى سهامهم، وقد سار ما يزيد على عشرين ألف جندي مغولي، من أولئك الذين انتصروا على الخوارزميين في مدينة أترار وغيرها من المدن، لمساعدة الفرقة المغولية التي كانت تحاصر(تيمور ملك)، وقد كلفت هذه الجموع بجلب الأحجار من الجبال المجاورة وإلقائها في النهر، ليصنعوا طريقاً يعبر المغول منه إلى هذا الخوارزمي المعتصم في جزيرته، لكن "تيمور" صمم على إفساد خطتهم، فصنع اثني عشرة سفينة كبيرة غطى جدرانها بالجلود، وكان يرسل في كل يوم ستاً من هذه السفن للإغارة على المغول الذين كانوا يعملون في هذا الطريق الموصل إلى الجزيرة فيرمونهم بسهامهم، ولكنه أدرك عدم جدوى المقاومة، فصمم على الهرب، فيترك النهر إلى الساحل حيث امتطى جواده، وقاتل أعداءه قتال اليائس، ونجح في خداع مطارديه،

والوصول إلى مدينة خوارزم حيث كان يرابط جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه.

د- استيلاء المغول على بخارى:

كانت مدينة بخارى- الواقعة حاليًا في أوزبكستان-إحدى بلاد ما وراء النهر التي طمع المغول في الاستحواذ عليها، فبدأ چنگيز خان يضرب حصاراً محكماً حولها في أواخر عام٦١٦هـ/١٢١٩م، وكانت القوة الإسلامية التي أُوكل إليها أمر الدفاع عنها تتكون من عشرين ألفاً، واستمر الهجوم على بخارى ثلاثة أيام، وبعدها ظهر للجيش الخوارزمي المدافع ضعفه وقلة حيلته، وعندئذ تقهقر إلى خراسان، التماساً للنجاة، ولم يزل يطاردهم المغول على مقربة من نهر جيحون حتى أنزلوا بهم هزيمة ساحقة، ولم ينج من القتل إلا شرذمة يسيرة، وشعر الخوارزميون الذين ظلوا في المدينة بضعف قوتهم، ودب اليأس في نفوسهم وهم يرون خيرة الجند يغادرونها، فأرسلوا قاضي المدينة لعرض تسليم المدينة، وطلب الأمان، فأجابه چنگيز خان إلى ذلك، وفتحت المدينة أبوابها في٤ من ذي الحجة عام٦١٦هـ/١٢١٩م. ودخلها، ثم جمع سكانها، وأمرهم أن يخرجوا كنوزهم المدفونة، وألا يبالوا بما ليس مدفوناً فبمقدوره العثور عليه، وقد ترك كل رجل من هؤلاء الأغنياء في حراسة رجل مغولي، لكنه وجد أن هناك أربعمائة فارس خوارزمي لم يخرجوا من المدينة مع سائر رجال الحامية، فأرغمهم على اللجوء للقلعة، وجنَّد المغول من سكان المدينة من يقدر على حمل السلاح، وحاصروا القلعة، وبعد أن أحدثوا في حوائطها عدة ثغرات دخلوها، وقتلوا كل من فيها، رغم أن هذه الحامية الصغيرة دافعت عن نفسها بكل شجاعة أحد عشر يوماً، وقتلت عدداً كبيراً من المغول، وعدداً كبيراً من السكان الذين استخدموا في

الحصار. ويبدو أن الخان المغولي انتابه الغضب الشديد عندما سقط عدد كبير من المغول ضحايا في ساحة القتال، فأمر جميع السكان بالخروج من المدينة مجردين من أموالهم، لا يحمل أحداً منهم غير ملابسه التي يرتديها، ثم دخل المغول المدينة، فأعملوا فيها النهب، وقتلوا من صادفهم من السكان، وأشعلوا النار في المدينة، فاحترقت بأسرها، لأن معظم مبانيها من الخشب، ولم يبق منها إلا المبنية من الآجر، وأخيراً نزح من بقي من أهلها لإقليم خراسان، وصارت بخارى أطلالاً بالية، واستمرت على هذا النحو حتى أخذ چنگيز خان نفسه في إصلاحها، وإعادة بنائها قبل موته بزمن قصير.

هـ- اجتياح سمرقند ٦١٧هـ .:

بعد أن دمر التتار مدينة بخارى، وأهلكوا أهلها، وحرقوا ديارها ومساجدها ومدارسها انتقلوا إلى سمرقند-تقع بدولة أوزبكستان- وكانت من أكبر مدن بلاد ما وراء النهر، وأعظمها على الإطلاق، ويذكر ابن الأثير أنه عندما فرّ منها خوارزم شاه كانت حاميتها تتألف من خمسين ألف مقاتل من الخوارزمية، وكان چنگيز خان على علم بكل هذه الاستعدادات الدفاعية، لذا وضع خطته الأصلية على أساس أنه سيخوض عند أسوارها حرباً شديدة قاسية، ومهّد للاستيلاء عليها بإخضاع جميع المناطق المحيطة بها إخضاعاً يتعذر معه أن يستفيد خصومه منها أثناء حصاره لها، ونجح في تحقيق هذه الغاية، وقرر أن يتولى بنفسه قيادة الهجوم على المدينة، فنحج في الاستيلاء على بعض أبوابها، وبينما رأت أكثرية الحامية التي تنحدر من أصل تركي ضرورة التسليم، رأى الفريق الآخر ضرورة القتال، وارتدوا إلى القلعة محاربين. ووافق چنگيز خان على فكرة التسليم، ووعد هؤلاء الأتراك بأنه سيلحقهم بجيشه، لذا خرجوا إليه مع عائلاتهم، وانضموا إلى جند

المغول، ولكن عند حلول المساء قتلوا منهم ثلاثين ألفاً من أبرزهم أمراؤهم، فأيقن أهل المدينة ومن بقي من أفراد حاميتها بالهلاك، فأوفدوا في اليوم الرابع للقتال قاضي المدينة وبعض علمائها، يعرضون على چنگيز خان التسليم، بشرط تأمينهم على حياتهم، فأجابهم إلى طلبهم، وحينئذ فتحت الأبواب، لكن المغول لم يرعوا عهدهم، إذ أمروا السكان بالخروج من المدينة، ثم أعملوا السيف فيمن لم يخرج، واستولوا على قلعتها، ونهبوا البلد، وأحرقوا المساجد، وذلك في المحرم سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وأرغم چنگيز خان القادرين من أهل سمرقند على حمل السلاح جنوداً في صفوف المغول، وبعد سقوط سمرقند، وهروب علاء الدين من وجه القوات المغولية، أصبحت الأراضي الخوارزمية مفتوحة على مصراعيها دون حامٍ ضد قوات چنگيز خان، فتساقطت المدن والمقاطعات واحدة تلو الأخرى في أيدي القوات المغولية الزاحفة، ومع اقتراب فصل ربيع من ذلك العام أكمل المغول فتح جميع الأراضي الخوارزمية في إقليم ما وراء النهر، وبانهيار بلاد ما وراء النهر جميعها انهارت خطوط الدفاع التي اعتمد عليها الجيش الإسلامي، وتيسر للمغول الاستيلاء على بقية أقاليم شرق الدولة الإسلامية دون عناء.

٢-اجتياح الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية

كانت الهزائم التي نزلت بالسلطان الخوارزمي قاسية، ولم تكن من قلة في العدد والعتاد، ولكنها نتيجة لسوء القيادة، وفرقة في الصف، وحب الدنيا، وتقاعس عن الجهاد، فسقطت الدولة المترامية في سنوات قليلة، ولم يعد أمامه سوى التوجه إلى مكان آمن يعيد فيه تنظيم جيشه، ويعاود الجهاد لاسترداد ما فقده، لكنها كانت أحلام بددها إصرار چنگيز خان على تتبع السلطان الفارّ من بلد إلى آخر، فواصل الزحف بجيوشه متعقبًا السلطان

الذي زلزل الخوف قلبه، وفقد القدرة على المقاومة والصمود، ولذا ظل ينتقل من بلد لآخر، يطارده جند المغول، وهنا فكر في اللجوء للخليفة العباسي في بغداد رغم ما بينهما من عداء، فسار حتى نزل بـ(مرج دولة آباد) من أعمال همدان، ومعه من جيشه زهاء عشرين ألف فارس، فواجه زحف القوات المغولية، واضطر للجوء إلى إقليم مازندران جنوب بحر قزوين .

سقوط عاصمة الخوارزميين ووفاة علاء الدين محمد خوارزم شاه:

بعد أن أجهز چنگيز خان على بلاد ما وراء النهر، وبلاد العراق العجمي، شرع في السيطرة على خراسان وخوارزم حتى تتم له السيطرة على بلاد الدولة الخوارزمية قاطبة، فسيطر المغول على مدينة بلخ، ومدينة مرو حاضرة الدولة الخوارزمية، وقتلوا فيها نحو ٧٠٠ ألف مسلم، ثم ساروا إلى نيسابور فاستولوا عليها، ثم طوس فأخذوها دون عناء، كما بسطوا سيطرتهم على هراة، واستولوا على مدينة خوارزم بعد جهد وعناء، فقد وجّه چنگيز خان أقوى جيوشه للاستيلاء على عاصمة الخوارزميين، فأطبق عليها الحصار لمدة خمسة أشهر كاملة، ومع ذلك عجز عن دخولها لشدة مقاومة أهلها، فدفع بالمزيد من الجند؛ لمضاعفة الضغط على أسوار المدينة، حتى تمكنوا من إحداث ثغرة فيها، ودخلوا المدينة حيث دار قتال شرس بين المغول والمسلمين، وكانت خسائر الطرفين جسيمة، فقد استمات المسلمون في هذا القتال، وبعد استيلاء المغول على المدينة هرب المسلمون أو اختفوا في السراديب والخنادق والمنازل، فعمد المغول إلى هدم سد كبير على نهر جيحون، وأغرقوا المدينة بكاملها، وقتل بذلك أهل خوارزم جميعًا، واندثرت مدينتهم . وكانت هذه من أبشع جرائم المغول في التاريخ. وبعد أن سيطر المغول على إقليم خوارزم، أهم ولايات الدولة، أسروا "تركان خان" والدة

السلطان، ومن معها من أبنائه وبناته، وقادوها هي وحاشيتها وأبناء علاء الدين وبناته إلى معسكر الخان المغولي، فلما قُدّموا إلى چنگيز خان، أمر بقتل أبناء السلطان الخوارزمي، –وكانوا صغار السن–، وزوّج أبناءه وبعض قادته من بنات السلطان، وقد ظلت تركان خاتون أسيرة لدى المغول حتى رحلوا إلى بلادهم واصطحبوها معهم، حيث ماتت هناك(٦٣٠هـ/١٢٣٣م). حينما علم السلطان بأنباء وقوع أمه وأبنائه في الأسر، ازداد غمًا على غم، وأصابه الحزن والهم، وكان قد انتهى به الفرار إلى مرسى يعرف بـ(آبسكون) ، يقول النسوي: وظل في إحدى قرى هذا الميناء يصلي بالناس في المسجد، وينذر لله لئن كتبت له السلامة، وأعيد له ملكه ليقيمن العدل، إلى أن انكشف أمره، وهاجمه التتار، وعندئذ ركب البحر إلى قلعة في إحدى جرز بحر الخزر، تدعى جزيرة (أوغر تشالي)، أو جيركن الحالية، يحوطه اليأس والقنوط، فأسلم نفسه للأحزان، وسيطر عليه القلق، وحلت به الأمراض، ولم تكفّ عيناه عن البكاء على المجد الضائع، وظل على هذا الحال حتى أسلم الروح في١٣من شوال ٦١٧هـ/٩من ديسمبر ١٢٢٠م، ودفن بها، وللأسف عجز أتباعه عن إيجاد كفن يكفنونه به، حتى أن شمس الدين محمود، وكان من المقربين إليه، خلع قميصه وكفنه به. وقبيل وفاته أوصى لابنه جلال الدين بالسلطة، فقد رأى أنه الوحيد الذي يستطيع حماية الدولة الخوارزمية، فحمل راية الجهاد، وواصل الكفاح[١].

---

(١) انظر: حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، ص١٤٣–١٥٢ ، د.علي محمد الصَّلاَّبِّي: المغول(التتار) بين الانتشار والإنكسار، ص ٨٩– ٩٩

السلطان جلال الدين الخوارزمي :

ورث جلال الدين الملك في ظروف دامية، ومعنويات محبطة، وصعود مغولي، وضعف خوارزمي، وقد خسرت دولته معظم مدنها وأراضيها وجنودها، ومصادر قوتها، وثرواتها. لكن السلطان الجديد كان يحمل عزمًا كبيرًا، اشتهر به منذ الصغر، حيث كان أكثر أبناء السلطان تعلقًا بامتشاق الحسام، وأكثرهم اتصافًا بصفات الشجاعة والجسارة والعقل؛ مما أهّله بجدارة لأن يحظى بمرافقة والده في مجالس صناعة القرار وساحات القتال. ويذكر أن جلال الدين كان قد عارض قرار والده بالفرار من المغول وآثر المواجهة، لكنه لم يتمكن من تغيير قرار السلطان .

بدأ جلال الدين عهده بأن اتخذ من غزنة قاعدة للجهاد الإسلامي ضد المغول، واستطاع أن يكوّن بها جيشًا كبيرًا بلغ سبعين ألف مقاتل من الفلول الهاربة من المغول، وممن أخذتهم الغيرة على الإسلام وحب الجهاد من المتطوعين، كما حصل على التمويل لجيشه من أغنياء المسلمين وحتى فقرائهم الذين قدموا بلا تردد في مقام لا يتخلف عنه مسلم. وتزامن مع هذا النشاط العسكري الذي اجتمع في غزنة نشاط سياسي آخر بإرسال الرسائل واستنهاض الهمم لسائر الملوك والأمراء الذين تمردوا سابقًا على السلطان محمد خوارزم شاه وسائر المعارضين والجيران من الممالك الإسلامية والإمارات، فلقيت دعوة جلال الدين قبولًا كبيرًا وحصل على الكثير من الدعم. كما أنه هادن من يستوجب المهادنة. فانتهت جهوده لاجتماع القوى حوله، وتمام الاستعداد لمواجهة المغول. وكان ممن انضم إليه سيف الدين بغراق أحد ملوك المسلمين، وكان مشتهرًا بشجاعته وإقدامه ورجاحة عقله في الرأي ومكيدة الحروب. ولم يكن هذا التطور ليغيب عن أعين المغول حيث

كان چنگيز خان يخطط لغزو وسط أفغانستان وجنوبها لقتال جلال الدين، وكانت غزنة في مرمى أهدافه .

معركة بروان :

بدأت طلائع جيش المغول الزحف نحو غزنة للاستيلاء عليها والقضاء على السلطان الجديد قبل أن تشتد شوكته، ولكن جلال الدين فاجأ المغول بأول هزيمة لم تكن في حسبانهم حين هجم على جمع من المغول أثناء حصارهم لقلعة واليان في أفغانستان، وتذكر بعض المصادر أنها قلعة كابول ، فقضى عليهم وقتلهم شر قتلة، ونقل فلول الناجين من المغول الخبر إلى چنگيز خان الذي قرر أن يرسل جيشًا إلى جلال الدين؛ لينهي أمره، وما منع جلال الدين عن المغول الفارين إلا هدمهم لسد في المنطقة، فحال الماء بينه وبينهم. وبالفعل أرسل چنگيز خان جيشًا ضخمًا بقيادة صهره "قوتوقو نويان"(شيكي قوتوقو)، والتقى الجيشان في "بروان" ويقال في منطقة بجوار مدينة غزنة تدعى "بلق"، وهنا في هذه المعركة ظهرت قدرات جلال الدين القيادية: واكتشف المغول أن مقابلهم رجل حرب وحنكة، ولم يزل يمعن فيهم قتلًا وأسرًا طيلة ثلاثة أيام، فألحق بهم هزيمة كبيرة عام ٦١٨هـ/١٢٢١م، ومن شدة فرح جنود جلال الدين بهذا النصر قاموا يثقبون آذان المغول بالأوتاد انتقامًا لجرائمهم الفظيعة في بلاد المسلمين. ولم يكن مجرد نصر بل كان سببًا كبيرًا لاستعادة الثقة بالنفس، وهدم الفزع الذي ترسخ في قلوب الناس في كل مكان عند ذكر جيش المغول الذي لا يهزم. وكانت هذه هي المرة الأولى التي ينهزم فيها جيش المغول الكبير في بلاد المسلمين وإن كان قد سبقها انتصارات أخرى على طلائع وجيوش المغول الأصغر في مواقع مختلفة على يد جلال الدين، فكان لذلك أثر عظيم في نفسه استرد به ثقته .

هزيمة جلال الدين أمام المغول وفراره إلى الهند:

رغم أن النصر على المغول تسبب في استبشار كبير لدى المسلمين في كافة العالم الإسلامي، وفتح باب أمل كبير لهم بعدما ذاقوه من ويلات وهزائم وما سمعوه من فظائع ومجازر، ولكن بدلًا من الاستفادة من فضل النصر تحطم كل إنجاز بتنازع قادة الجيش على تقاسم الغنيمة، ولم يتمكن جلال الدين من حسم النزاع، فانسحب بعض القادة بقسم كبير من الجيش بلا مبالاة بالعواقب ولا مناشدات السلطان، ويقال أن أبرزهم هو سيف الدين بغراق الذي اتجه إلى سهل غربي نهر السند حين علم بقدوم المغول بقيادة چنگيز خان إلى إقليم غزنة؛ للانتقام من جلال الدين؛ والثأر لهزيمة جيشه على يديه، فضعف جيش المسلمين، وتفككت وحدته، وتمكن المغول الذين كانوا يراقبون المشهد من الانقضاض عليهم فرادى، فأنهوهم بسهولة بعد تفرقهم إلا من نجا منهم.

معركة نهر السند :

لم يكن أمام جلال الدين من حل بعد انهيار جيشه وأخبار تقدم المغول بقيادة جنكيزخان نحوه للانتقام من هزيمته على يديه، سوى الانسحاب إلى سهل يقع غربي نهر السند، وفي هذه الأثناء سعى السلطان لجمع السفن للإبحار في نهر السند مع جنوده باتجاه الهند لعله يجد فيها مأمنه، لكن خبر تقدم طلائع خان المغول اضطره لخوض معركة مفاجئة لم تكن في الحسبان، فحمل بنفسه على الجيش المغولي حملة قوية، لم يكن يتوقعها چنگيز خان الذي انبهر بشجاعة جلال الدين، فراح يتقدم بكل ثقله نحو نهر السند لتجري بعد ذلك فصول حرب عظيمة قد سطر التاريخ الصفحات في شرح هذه الموقعة الضروس، والشجاعة التي أبداها جلال الدين خوارزم شاه

وچنگيز خان في مواجهة بعضهما البعض عام ٦١٨هـ(١٢٢١م). ومن شدة حنق چنگيز خان على جلال الدين وعجزه عن قتله أو أسره، عمد إلى قتل ابن السلطان الذي وقع في الأسر ولم يتجاوز عمره ٨ سنوات، فقتله بيديه، مما يعكس شدة القهر التي أوصله لها ثبات جلال الدين. وتتحدث بعض الروايات إلى أن هذه المعركة استمرت ثلاثة أيام لحقت فيها خسائر جسيمة بالفريقين رغم عدم تكافؤ القوتين. وفي هذه الأثناء مع اشتداد الضرب والقتل سمع جلال الدين صيحات والدته وأم ولده وحريمه يصحن بأعلى صوتهن: "بالله عليك اقتلنا وخلّصنا من الأسر"، فأمر بإغراقهن، فكان مشهدًا من أشد مشاهد الحزن في تاريخ الخوارزميين. واستولى چنگيز خان على غزنة .

اضطر جلال الدين أمام قوة المغول للفرار، فقذف بنفسه في النهر بفرسه من ارتفاع٢٠ ذراعًا في مشهد مهيب، وسبح بسلاحه مقاومًا طغيان الماء، وتبعه ما بقي من رجاله، وعبروا النهر للضفة الأخرى. وقد نجا جلال الدين ووصل للضفة الأخرى. والتقى بعسكره الذين نجحوا في اجتياز النهر، أما من فشل فكان مصيره القتل بسيوف المغول. ومع أن جلال الدين قد حقق هدفه باسترجاع نفوذ واسع في ظرف قياسي؛ فأخذ كلا من كرمان وفارس والعراق وفي وهاجم نواحي القفقاز، وفتح أجزاء من غرب آسيا الصغرى، وأخضع ملوك تلك الحدود، حتى وقعت الحرب الكبيرة مع المغول، لكن حكم السنوات العشر له وهو يبسط يده على كل هذه المناطق، اختلف كثيرًا مع حكمه وهو يواجه شوكة العدوان المغولي الهائل. ولم يسمح چنگيز خان بملاحقة جلال الدين في الماء، واكتفى بما حققه من نصر، ولكنه صب جم غضبه على بلاد المسلمين، فضاعف دماره وشهد المسلمون الويلات، خاصة مدينة غَزنة الحصينة التي شهدت نصر المسلمين على المغول .

وصل السلطان جلال الدين إلى الهند برفقة أربعة آلاف من جنده الذين نجحوا في الفرار معه، ولكنهم وصلوا في حالة مزرية للغاية، ورغم أن جلال الدين أضحى شريدًا بلا عتاد ولا عدة ولا موطن، إلا أنه كسب من نصره على المغول في حرب بروان انبعاث الشجاعة ضد المعتدين المغول فتبعها ثورات في هراة ومرو من العصيان عليهم طمعًا في تحقيق نصر كنصر جلال الدين، وهاجت الكثير من المدن الإسلامية المحتلة من المغول الذين اضطروا إلى كف أيديهم عن حصار عدة قلاع في ذلك الوقت .

اختلفت الروايات بشأن ما عاشه جلال الدين وجنوده في الهند، فبعض الروايات تشير إلى أنهم في طريقهم للبحث عن مأوى لهم أغاروا على بعض البلاد ونهبوها، وفرضوا على أهلها الإتاوات التي سمحت لهم بالاستقرار في الهند ثلاث سنوات(٦١٨-٦٢١هـ)، انشغل خلالها جلال الدين بجمع قواته التي تفرقت في الأمصار، وانضم إليه كثير من القادة الخوارزميين وآلاف من المتطوعين الراغبين في الدفاع عن الإسلام، ونجح في مهاجمة بعض الأقاليم الهندية الواقعة في حوض نهر السند، وغنم منها غنائم كثيرة، وأخضعها لسلطانه، كما انضم إليه معارضو حكام الهند، لكن غلبه شوق العودة إلى بلاده، فكانت مرحلة الهند مرحلة نجاة من المغول وجمع لهم .

عودة جلال الدين من بلاد الهند وجهاده ضد المغول :

في الواقع لم يكن جلال الدين يطمع في حكم الهند، بل ظل بها يتحين الفرصة للانتقام من المغول، فكانت الفرصة مواتية تمامًا بعد رجوع چنگيز خان سنة ٦٢١هـ(١٢٢٤م) إلى منغوليا، وذلك لقناعته أن جلال الدين لن يرجع، فانسحبت جيوشه الرئيسية من أقاليم الدولة الخوارزمية إلى العاصمة المغولية قراقورم. وفي هذه الأثناء كان غياث الدين أخو السلطان جلال

الدين يراقب الأوضاع، وينتظر الانفراجة للعودة من جديد، وبالفعل نجح في استرجاع بعض الأقاليم، وفشل في استعادة أقاليم ما وراء النهر. ولضعف خبرته وسوء قيادته، عانت الأقاليم خلال حكمه من الاضطراب والفوضى، فلما عزم جلال الدين على مغادرة الهند، زيّن له قادته انتزاع السلطة من يد أخيه "غياث الدين"؛ لأنه الخليفة الشرعي لأبيه، فاستجاب لرغبتهم، وعبر نهر السند في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وأسرع إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية الواقعة تحت سيطرة أخيه، فاستولى على غزنة وكرمان، ثم نجح بالحيلة في هزيمة أخيه واسترداد ما كان تحت يديه من المدن والأقاليم، وتوافد عليه قادة الدولة الخوارزمية الذين كانوا تحت إمرة أخيه، وأعلنوا تبعيتهم له، ومبايعته سلطانًا على الدولة الخوارزمية، وصالح أخاه، وامتد سلطانه على أقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران .

التوجه إلى خوزستان وفتح تبريز :

اتجه جلال الدين إلى خوزستان بعد استقرار أوضاع العراق العجمي (الواقعة شرق عراق العرب بما في ذلك مدن مثل أصفهان والري وقزوين وكرمانشاه) فحاصر مدينة تُستَر في مطلع عام٦٢٢هـ(١٢٢٥م)، وكانت تحت يد الأمير مظفر الدين مملوك الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ففشل في الاستيلاء عليها، ثم أرسل جزء من جيشه إلى البصرة وجزء آخر إلى بعقوبا. واستمر جلال الدين في التمدد حتى بلغ ذروة قوته في عام ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) بعد أن ضم ملك عراق العجم وفارس وكرمان وتبريز وتفليس إلى سلطانه، بعضها لم تكلفه عناء القتال فاستعمل السياسة والحيلة، وبعضها كلفته الحروب الضارية كما كان حال تفليس وحربه الشرسة مع الكرج،

وساعده في ذلك موت چنگيز خان عام٦٢٤هـ(١٢٢٧م)، وانشغال المغول باختيار خليفته. كما ساعده أيضًا استقرار الملك في يده بلا منازع.

حرب أصفهان :

استنفر جلال الدين جيشه مع خبر اقتراب المغول، فانطلق يجمع ما أمكنه من قوة للقائهم، لكنه كان قد استنزف في حروبه التوسعية، ومع ضعفه هذا، تمكن من إلحاق بعض الهزائم بالمغول؛ فقد قضى جنوده على كتائب المغول التي تسللت إلى جبال اللور في بختياري للإعداد لهجومها وحصار أصفهان، فطاردوهم في المضايق والمسالك، وقضوا على كثير منهم، وأسروا المئات منهم. ومما يذكر من بطولات جلال الدين في هذه المعركة التي وقعت في عام ٦٢٥هـ(١٢٢٧م) أنه انقطع عن عساكره فالتف المغول من حوله من كل ناحية، وسدوا عنه طريق الخلاص، ولم يبق إلا قلة قليلة من حرسه، فحمل حملة على المغول أذهلت من حوله، إلى أن فتح ثغرة لنفسه ورفاقه، وخرج من مضيق الموت. وتفرق جيشه بعد هذه الحرب، واختفى هو ثمانية أيام، حتى همّ العامة بالاستيلاء على ماله، لكن قاض أصفهان رفض، وطلب مهلة ليتأكد من مقتله، ومع حلول صلاة عيد الفطر وصلتهم بشارة وصول السلطان سالمًا، فاستقبلوه بحفاوة، وصلى معهم.

المواجهة الأخيرة مع المغول ونهاية جلال الدين خوارزم شاه :

رغم نجاح جلال الدين في هزيمة المغول قرب أصفهان(٦٢٥هـ /١٢٢٨م). لم يفلح في وقف الهجمة المغولية الجديدة، فقد أرسل خاقان المغول الجديد "أوكتاي" جيشًا قوامه٣٠ ألف مقاتل؛ لشن حرب شاملة على جلال الدين، وعلى عكس ما كان ينتظر الأخير بأن المغول سيقضون الشتاء قبل مهاجمته، فيمكنه تجهيز نفسه لصدهم، فاجأه جيش المغول وهو

في أضعف حال، فعبر الجيش المغولي نهر جيحون، ووصل بسرعة إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية واستولى على الري وهمدان وما بينهما، ووصل إلى في عام ٦٢٨هـ/١٢٣١م، ولم يتمكن جلال الدين من مواجهة هذا السيل الجارف، وفر إلى تبريز، ثم إلى سهل موغان المجاور للساحل الغربي من بحر قزوين قبل أن يتمكن من جمع جيوشه، واستنجد بالخليفة العباسي وأمراء ديار بكر، ولكنهم تقاعسوا عن نصرته، وتركوه يلقى نهايته وحيدًا، فلما وصل إلى "آمد" في أعالي نهر دجلة لحق به المغول، وهزموه شر هزيمة، وقتلوا كثيرًا من جنده، واستولوا على ما بيده من سلاح، بينما واصل هو فراره من مدينة إلى أخرى، والمغول يطاردونه .

انتهت خطوات السلطان إلى ميافارقين، ولما وصل إلى قرية قرب جبال كردستان ظل هائمًا على وجهه لا يدري أين يذهب، فلقيه رجل كردي، فقصّ عليه جلال الدين خبره، وطلب مساعدته مقابل جزاء سخي، فاستجاب له الكردي وأخذه لبيته، لكنه عندما خرج ليجمع الخيل والعدة لجلال الدين، دخل على السلطان كردي آخر صاحب الأول، قد قُتل أخوه في معركة مع جيش الخوارزميين، فعرفه، وانقض عليه وقتله، ولفظ معها آخر سلاطين الدولة الخوارزمية أنفاسه الأخيرة (شوال٦٢٨هـ/١٢٣١م). وذكرت روايات أخرى لمقتله، منها أن قاتليه كانوا لصوصًا من الأكراد. كانت مدة سلطنته نحو اثنتي عشرة سنة، وبمقتله انهارت الدولة الخوارزمية للأبد أمام المغول الذين سيطروا على أراضيها، وبدأت بعدها مرحلة جديدة للغزو المغولي قادها هولاكو حفيد چنگيز خان، فسقطت على يديه بغداد وحلب ودمشق[١].

---

(١) انظر: د.عبد السلام عبد العزيز فهمي: الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م، ص٧٥-٩١ ، https://tipyan.com/jalal-ad-din-khwarizm-shah

القضاءعلى طائفة الإسماعيلية واجتياح عاصمة الخلافة العباسية

بعد صراعات بين أمراء البيت المغولي على تولي السلطة، تولى "منگوقاآن بن تولوي بن چنگيز خان" عرش المغول في ذي الحجة ٦٤٨هـ /أبريل١٢٥٠م. وبعد أن أقرّ الأمن، وأعاد الاستقرار في بلاده، اتجه لغزو البلاد التي لم يتيسر فتحها من قبل، فأرسل أخاه الأوسط "قوبيلاي" على رأس حملة كبيرة للسيطرة على جنوب الصين ومنطقة جنوب شرق آسيا، وأرسل أخاه الأصغر هولاكو لغزو إيران وبقية بلاد العالم الإسلامي، وعهد إليه بالقضاء على طائفة الإسماعيلية، وإخضاع الخلافة العباسية.

خرج هولاكو على رأس جيش كبير بلغ ١٢٠ ألف جندي من خيرة جنود المغول المدربين تدريبًا عاليًا على فنون القتال والنزال، ومزودين بأسلحة الحرب وأدوات الحصار، وتحرك من عاصمة المغول "قرا قورم" عام ٦٥١هـ /١٢٥٣م متجهًا نحو الغرب، تسبقه سمعة جنوده في التوغل والاقتحام، وبأسهم الشديد في القتال، وفظائعهم في الحرب التي تزرع الهلع والخوف في النفوس، ووحشيتهم في إنزال الخراب والدمار في أي مكان يحلّون به.

القضاء على الإسماعيلية :

عندما وصل هولاكو إلى الأراضي الإيرانية، خرج أمراؤها لاستقباله بالهدايا الثمينة، وأظهروا له الولاء والخضوع، وبعد أن اطلع هولاكو على أوضاع قلاع الإسماعيلية وزعيمهم ركن الدين خورشاه، قرر أن يقوم بنفسه بفتح بقية أوكار الفدائيين، وأن يقضي على تلك الفئة بإخضاع خورشاه، فتحرك صوب خرقان وبسطام، ومن بسطام أوفد رسولين من قبله إلى خورشاه يدعوه للاستسلام، وبمشورة من خواجه نصير الدين الطوسي الذي كان آنذاك في حصن "ميمون دژ" أعلن استعداده للاستسلام، وأوفد أخاه

وأحد نوابه إلى هولاكو الذي أكرم وفادة رسولي الإسماعيلية، وبعث برسالة إلى "خورشاه" بأن يقوم بتخريب قلاعه لو كان مستعداً بالفعل للطاعة، وأن يسرع بالمثول بين يديه، فأمر خورشاه بهدم بعض جدران قلاع "لنبه سر" و"ميمون دژ" و"ألموت"، وطلب مهلة سنة للمثول بين يدى هولاكو، فأدرك الأخير أنه لا ينوى الاستسلام، فزحف صوب القلاع الأصلية للملاحدة عن طريق بسطام، وأرسل كيتوبوقا من طريق سمنان، وأرسل جماعة أخرى من جيشه إلى مازندران، واستولوا على برلار ودماوند من ناحية، ودخلوا ولاية رودبار الجبلية من ناحية أخرى، واقتربوا من قلعة ميمون دژ، واستولى هولاكو في أواخر رمضان ٦٥٤هـ على المعابر الوعرة بين رودبار وطالقان، وضرب حصاراً حول القلعة في مساحة يبلغ قطرها ستة فراسخ، ولكن سرعان ما أدرك أن فتح ذلك الحصن الحصين ليس بالأمر اليسير، خاصة وأن الشتاء كان على الأبواب، ولم يكن إعداد المؤن أمراً سهلاً، فجدد الدعوة لخورشاه بالاستسلام، ووجد الأخير أنه لم تعد لديه القدرة على المقاومة، وأن المحاصرين داخل حصن ميمون دژ لم يعد لديهم استعداد للمقاومة، فأوفد ابنه و"خواجه نصير الدين الطوسي" إلى هولاكو، وغادر هو نفسه الحصن في أواخر ذي القعدة ٦٥٤هـ، ومثل بين يدي هولاكو، وبذلك انتهى عهد الإسماعيلية الذي دام لمدة ١٧٧عامًا. استقبل هولاكو خورشاه بكل احترام، وأمر رجاله بهدم حصن ميمون دژ ضمن ما يقرب من مئة قلعة أخرى من قلاع الإسماعيلية في تلك المنطقة، وفي قهستان. أغار هولاكو على حصون الإسماعيلية التي كانت تحوى نفائسهم ومؤنهم، وقسّم محتوياتها على جيشه، وأجبر خورشاه على إصدار أمر لمحتشم قلعة ألموت الملقب بـ "سپهسالار" بالتسليم، وكذلك فعل خورشاه، إلا أن سپهسالار رفض، فأمر هولاكو جنده

بفتح القلعة، وبعد ثلاثة أيام من القتال الشرس، فُتحت ألموت كغيرها من قلاع الإسماعيلية، وسقط بذلك آخر معاقل الفدائيين الكبرى في يد المغول، ودخل المغول الوكر الأصلي لحسن الصباح وأتباعه، وحطموا مجانيقهم ونهبوا أموالهم وخزائنهم، واستولوا على المكتبة النفيسة التي أسسها الإسماعيلية في ألموت على مدار سنوات طويلة، وذاع صيتها في أرجاء الدنيا، وأمر هولاكو بتدميرها. واستأذن عطا ملك الجويني الذى رافق هولاكو في تلك الحملة للإطلاع على الكتب في تلك المكتبة، وأن يحصل على النفيس منها، على أن يتم حرق ما يتعلق منها بأفرع المذهب الإسماعيلي. فدخل مكتبة الإسماعيلية، وانتقى منها المصاحف وأدوات التنجيم والرصد وغيرها من نفائس الكتب، وأتلف بقية الكتب. ومن بين النفائس التي أنقذها مؤلف بعنوان "سرَگذشت سيدنا"–سيرة سيدنا– عن الإسماعيلية وسيرة حسن الصباح وخلفائه. وبعد أن أقام ركن الدين خورشاه لعدة أيام في معسكر هولاكو، ذهب إلى لمقابلة منگو قاآن بناء على طلب منه هو نفسه، إلا أن الخان المغولي رفض مقابلته، فعاد خورشاه إلى إيران وانتهى أمره بالقتل على يد المغول، كما قام هولاكو بقتل ابني خورشاه وأخواته وإخوته وأقاربه بين أبهر وقزوين، وأمر بقتل أي منهم في أى مكان. كما أحضر حاكم خراسان المغولي إسماعيلية قهستان بحجة إحصاء عددهم، وقتل منهم أكثر من اثني عشر ألفًا مرة واحدة. ولكن رغم كل ذلك ظل فدائيو الإسماعيلية موجودين لفترة من الزمن في مناطق مختلفة من إيران والشام، وشن المغول في عهد أباقا بن هولاكو وخلفائه حملات لقمع فلولهم عدة مرات. وفي النهاية استولى المغول على إحدى أشد حصونهم استحكامًا في الشام في

سنة ٦٥٨هـ، وهدم حكام المماليك بمصر أوكارهم المهمة على أطراف الشام ولبنان في سنة ٦٧١هـ[١].

سقوط بغداد :

نجح هولاكو في تحقيق هدفه الأول بالقضاء على الطائفة الإسماعيلية، وتدمير قلاعها، وإبادة أهلها، وبدأ في الاستعداد لتحقيق هدفه الآخر بالاستيلاء على بغداد، والقضاء على الخلافة العباسية؛ فانتقل إلى مدينة "همدان" الفارسية على مسافة حوالي ٤٥٠ كيلو مترًا من بغداد إلى الشمال الشرقي، واتخذها مقرا لقيادته، ثم اجتمع هولاكو مع كبار مستشاريه في مجلس حرب يُعَدُّ من أهم مجالس الحرب في تاريخ التتار، وأخذ القرار بغزو العاصمة بغداد، وقرر هولاكو في هذا المجلس أن يقسِّم جيشه إلى ثلاثة أقسام: القلب، وسيقوده هو بنفسه، والجناح الأيسر، وسيقوده (كتبغا) أفضل قادته، أمّا الجيش الثالث؛ فكان هو الجيش المغولي الرابض على أطراف الأناضول(في شمال تركيا)، وعلى رأسه القائد المغولي الكبير (بيجو). وكان أول عمل قام به هولاكو أن أرسل للخليفة العباسي المستعصم بالله رسالة في رمضان سنة ٦٥٥هـ/مارس١٢٥٧م، يدعوه فيها إلى هدم حصون بغداد وأسوارها وردم خنادقها، وأن يأتي إليه بشخصه، ويسلم المدينة له، وأوصاه بأن يستجيب حتى يحفظ مركزه ومكانته ويضمن حريته وكرامته، وإن أبى واستكبر، فسيحل بأهله وبلاده الدمار والخراب، ولن يدع أحدًا حيًا في دولته، وجاء رد الخليفة العباسي على كتاب هولاكو شديدًا، ودعاه للتخلي عن غروره والعودة إلى بلاده، ثم أرسل هولاكو رسالة ثانية إلى الخليفة ذكر

---

(١) انظر: عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، ص١٩٤-١٩٦

له فيها أنه سوف يبقيه في منصبه بعد أن يقر بالتبعية للدولة المغولية، ويقدم الجزية له؛ فاعتذر الخليفة بأن ذلك لا يجوز شرعًا، وأنه على استعداد لدفع الأموال التي يطلبها هولاكو مقابل أن يعود من حيث أتى .

كان رد هولاكو على رسالة الخليفة أشد إنذارًا وأكثر وعيدًا، وفي لهجة عنيفة وبيان غاضب وكلمات حاسمة؛ فحلّ الفزع في قلب الخليفة؛ فجمع حاشيته وأركان دولته واستشارهم فيما يفعل؛ فأشار عليه وزيره "ابن العلقمي" أن يبذل الأموال والنفائس في استرضاء هولاكو، وأن يعتذر له، وأن يذكر اسمه في الخطبة، وينقش اسمه على السّكة، فمال الخليفة إلى قبول هذا الرأي في بادئ الأمر، غير أن مجاهد الدين أيبك المعروف بـ"الداوتدار" رفض هذا الاقتراح، وحمل الخليفة العباسي على معارضته، متهمًا ابن العلقمي بالخيانة والتواطؤ مع هولاكو؛ فعدل الخليفة عن رأيه السابق، ومال إلى المقاومة .

يئس هولاكو من إقناع الخليفة العباسي بالتسليم؛ فشرع في الزحف نحو بغداد وضرب حولها حصارًا شديدًا، واشتبك الجيش العباسي الذي جهزه الخليفة العباسي بقيادة مجاهد الدين أيبك بالقوات المغولية، فكانت الهزيمة من نصيبه، وقتل عدد كبير من جنوده؛ لقلة خبرتهم بالحروب؛ وعدم انضباطهم، وفر قائد الجيش مع من نجا بنفسه إلى بغداد .

كان الجيش المغولي هائلًا بلغ حوالي٢٠٠ ألف مقاتل، مزودين بآلات الحصار، ولم تكن عاصمة الخلافة العباسية تملك من القوات ما يمكنها من دفع الحصار وصد المغول، في الوقت الذي كان يظن فيه هولاكو أن ببغداد جيشًا كبيرًا، ثم تكشفت له الحقيقة حين اشتد الحصار، ونجحت قواته في اختراق سور بغداد من الجانب الشرقي، وصارت العاصمة تحت رحمتهم .

أحس الخليفة بالخطر، وأن الأمر قد خرج من يديه؛ فسعى للتوصل إلى حل سلمي مع هولاكو، لكن جهوده باءت بالفشل؛ فاضطر إلى الخروج من بغداد وتسليم نفسه، وعاصمة الخلافة إلى هولاكو دون قيد أو شرط، وذلك يوم الأحد ٤ من صفر٦٥٦هـ/١٠ فبراير ١٢٥٨م، ومعه أهله وولده، بعد أن وعده هولاكو بالأمان. وكان برفقه الخليفة وقت خروجه ٣ آلاف شخص من أعيان بغداد، وعلمائها، وكبار رجالها، فلما وصلوا إلى معسكر المغول، أمر هولاكو بوضعهم في مكان خاص، وأخذ يلاطف الخليفة العباسي، وطلب منه أن ينادي في الناس بإلقاء أسلحتهم، والخروج من المدينة لإحصائهم، فأرسل الخليفة رسولًا من قبله ينادي في الناس بأن يلقوا سلاحهم، ويخرجوا من الأسوار، وما إن فعلوا ذلك حتى انقض عليهم المغول وقتلوهم جميعًا. ودخل الغزاة المغول بغداد، وفتكوا بأهلها دون تفرقة بين رجال ونساء وأطفال، ولم يسلم من الموت إلا قليل، ثم قاموا بتخريب المساجد؛ ليحصلوا على ذهب قبابها، وهدموا القصور بعد أن سلبوا ما فيها من تحف ومشغولات قيمة، وأتلفوا عددًا كبيرًا من الكتب القيمة، وأهلكوا كثيرا من أهل العلم فيها، واستمر هذا الوضع نحو أربعين يومًا، وكلما مشطوا منطقة أشعلوا فيها النيران، فكانت تلتهم كل ما يصادفها، وخربت أكثر الأبنية وجامع الخليفة، ومشهد الإمام موسى الكاظم، وغيرها من البنايات التي كانت آية من آيات الفن الإسلامي. وبالغ المؤرخون في عدد ضحايا الغزو المغولي حين دخلوا بغداد، فقدرهم بعض المؤرخين بمليون وثمانمائة ألف نسمة، على حين قدرهم آخرون بمليون نسمة، وفي اليوم التاسع من صفر دخل هولاكو بغداد مع حاشيته يصحبهم الخليفة العباسي، واستولى على ما في قصر الخلافة من أموال وكنوز، وكانت الجيوش المغولية قد

أبقت على قصر الخلافة دون أن تمسه بسوء، ولم يكتف هولاكو بما فعله جنوده من جرائم وفظائع في العاصمة التي كانت قبلة الدنيا وزهرة المدائن ومدينه النور، وإنما ختم أعماله الهمجية بقتل الخليفة المستعصم بالله ومعه ولده الأكبر، وخمسة من رجاله المخلصين الذين ظلوا معه، ولم يتركوه في هذه المحنة الشديدة. وبقتل الخليفة العباسي(١٤صفر٦٥٦هـ/٢٠فبراير ١٢٥٨م) انتهت دولة الخلافة العباسية التي حكمت العالم الإسلامي خمسة قرون من العاصمة بغداد[١]، لتبدأ بعدها بقليل في القاهرة عندما أحيا الظاهر بيبرس الخلافة العباسية من جديد. وقد اهتز العالم الإسلامي لسقوط الخلافة العباسية التي أظلّت العالم الإسلامي أكثر من خمسة قرون، وبلغ الحزن الذي ملأ قلوب المسلمين مداه حتى ظنوا أن العالم على وشك الانتهاء، وأن الساعة آتية قريبًا؛ لهول المصيبة التي حلّت بهم، وإحساسهم بأنهم أصبحوا بدون خليفة، وهو أمر لم يعتادوه منذ وفاة النبي(ص).

أوضاع الشام قبل حملة هولاكو :

في أثناء تلك المحنة كان الأيوبيون يحكمون أجزاء كبيرة من بلاد الشام، ولم تكن العلاقات بينهم ودية على الرغم من انتسابهم إلى بيت واحد، وأسرة كريمة هي أسرة صلاح الدين الأيوبي، وبدلًا من أن توحدهم المحنة، وتجمع بين قلوبهم، ويقفوا صفًا واحدًا، هرول بعضهم إلى هولاكو يعلن خضوعه له، مثلما فعل الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق وحلب، وكان أقوى الأمراء الأيوبيين، وأكثرهم قدرة على مواجهة هولاكو لو رغب، لكنه لم يفعل وأرسل ابنه العزيز إلى هولاكو يحمل إليه الهدايا، ويعلن خضوعه له، ويطلب مساعدته للاستيلاء على مصر، وتخليصها من حكم دولة المماليك الناشئة

---

(١) انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، ص٢٣٦-٢٦٧

التي انتزعت الملك من بيته، لكن هولاكو رأى في عدم قدوم الناصر إليه بنفسه استهانة به، فكتب إليه رسالة غاضبة يأمره بالإسراع إليه، وتقديم آيات الولاء والخضوع دون قيد أو شرط، فانزعج الناصر وأدرك أن مسعاه قد خاب، واستعد استعداد الخائف لمواجهة المغول، وبعث بأسرته إلى مصر.

اجتياح بلاد الشام :

بعد سقوط بغداد شرع هولاكو في الاستعداد للاستيلاء على بلاد الشام ومصر، وفق الخطة المرسومة التي وضعها له أخوه "منگوقا آن"، فخرج في رمضان(٦٥٧هـ/١٢٥٩م) من عاصمة دولته مراغة في في، متجهًا إلى الشام، ومعه حلفاؤه من أمراء جورجيا وأرمينيا، يقود طلائعه قائده "كيتوبوقا"، ونجح بالتعاون مع حلفائه المسيحيين في الاستيلاء على "ميافارقين" بديار حلب، وهي أول مدينة بدأت بها الحملة المغولية، ولم تسقط إلا بعد عامين من الحصار، نفدت خلالها المؤن، وهلك معظم سكان المدينة، وبعد سقوط "ميافارقين" واصل هولاكو زحفه نحو "ماردين" فسقطت بعد ثمانية أشهر، وأثناء حصار "ميافارقين" كانت قوات من جيش هولاكو تغزو المناطق المجاورة، فاستولت على "نصيبين" و"حران" و"الرها" و"البيرة". بعد ذلك تقدم هولاكو على رأس قواته لحصار حلب، ونصب المغول عشرين منجنيقًا حول المدنية، وصاروا يمطرونها بوابل من القذائف حتى استسلمت في ١٩ صفر ٦٥٨هـ/٣١يناير١٢٦٠م، وأباح هولاكو المدينة لجنوده سبعة أيام ، فعاثوا فيها فسادًا، ونشروا الخراب في كل أرجائها، وبعد حلب سقطت قلعة "حارم" و"حمص" و"المعرة"، وأصبح طريق الحملة مفتوحًا إلى دمشق، ولما وصلت الأنباء باقتراب المغول من دمشق فرَّ الملك "الناصر يوسف الأيوبي" مع قواته، تاركًا مدينته لمصيرها المحتوم، ولم يكن أمام أهالي دمشق بعدما

عرفوا ما حل بحلب بعد مقاومتها لهولاكو سوى تسليم مدينتهم، حتى لا تلقى مصير حلب، فسارع عدد من أعيانها إلى زعيم المغول يقدمون الهدايا ويطلبون منه الأمان، في مقابل تسليم مدينتهم فقبل هولاكو ذلك، ودخل المغول المدينة في ١٧ صفر٦٥٨هـ/٢ فبراير ١٢٦٠م .

الأوضاع في مصر:

نتيجة للغزو المغولي، فرّ كثير من أهل الشام إلى مصر التي كانت تحت سلطان دولة المماليك، ويحكمها سلطان صبي هو الملك "المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك"، وفي هذه الأثناء بعث الملك الناصر يوسف الذي أفاق بعد فوات الأوان برسول إلى مصر يستنجد بجيشها للوقوف ضد الزحف المغولي، وكانت أخبار المغول قد انتشرت في مصر، وأحدثت رعبًا وهلعًا، ولما كان سلطان مصر غير جدير بتحمل مسئولية البلاد في مواجهة الخطر القادم، فقد أقدم نائبه "سيف الدين قطز" على خلعه، بحجة أنه لا بد من سلطان قاهر يقاتل هذا العدو، والملك الصبي صغير لا يعرف تدبير المملكة، ولم يجد قطز معارضة لما أقدم عليه؛ فالخطر محدق بالبلاد، والسلطان قد ازدادت مفاسده، وانفض الجميع من حوله.

بدأ السلطان قطز يوطد أركان دولته، ويثبت دعائم حكمه، فعين من يثق بهم في مناصب الدولة الكبرى، وقبض على أنصار السلطان السابق، وأخذ يستعد للجهاد، وملاقاة المغول، وسمح برجوع بعض أمراء المماليك من خصومه، وكانوا بالشام، وعلى رأسهم بيبرس البندقداري، فرحب به، وأحسن معاملته، وأقطعه قليوب ومناطق الريف المجاورة لها، وأغرى قوات الناصر يوسف الأيوبي، الذي فر من دمشق وطلب نجدة مماليك مصر، بالانضمام إلى جيشه، وكانت بالقرب من غزة، فاستجابت لدعوته .

رحيل هولاكو المفاجئ وهزيمة المغول في عين جالوت :

أدت انتصارات المغول المتتالية إلى الاعتقاد بأنه لن تستطيع قوة على الأرض التصدي لهم، وأن هؤلاء بلاء من الله سلّطه على المسلمين الذين ركنوا إلى الراحة، وأهملوا قرآنهم وسُنّة نبيهم، وخارت عزائمهم. وفي وسط هذه الحيرة جاءت الأنباء إلى هولاكو بوفاة أخيه "منگوقا آن خان" في شعبان ٦٥٧هـ/أغسطس ١٢٥٩م، وكان من الضروري تواجده أثناء اختيار خان المغول الجديد، لرغبته في مساندة ترشيح أخيه الأوسط "قوبيلاي" لهذا المنصب، فاضطر للعودة للعاصمة، وكان في نيته أن يكتفي بما حققه، ولكنه عدل عن ذلك أمام إلحاح القوات المسيحية التي كانت معه على الاستمرار في الغزو، واستعادة بيت المقدس من المسلمين، فأبقى قوة من جنده تحت إمرة أمهر قواده كيتوبوقا (كتبغا) لإتمام عملية الغزو. وقبل أن يغادر هولاكو الشام(٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، أرسل إلى قطز رسالة كلها وعيد وتهديد، يدعوه فيها إلى الاستسلام وإلقاء السلاح، وأنه لا جدوى من المقاومة أمام قوة كُتب النصر لها دائمًا، حيث وصلت رسل هولاكو إلى القاهرة تحمل خطابًا تقطّر كبرًا وغطرسة، ويمتلئ بالتهديد والوعيد، ومما جاء فيه: ".. إنا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حلّ به غضبه، فلكم بجميع الأمصار معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمركم.. فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكا.. فما لكم من سيوفنا خلاص ولا من أيدينا مناص، فخيولنا سوابق، وسيوفنا صواعق، ورماحنا خوارق..". لكن السلطان قطز لم يهتز لكلمات هولاكو، أو يتملكه الخوف والفزع كما تملك غيره من قادة الشام، فآثروا الهوان على العزة والكرامة، والحياة تحت سلطان وثني على الموت والاستشهاد دفاعًا عن الدين والوطن.

أمام هذا الخطر الداهم عقد السلطان قطز مجلسًا من كبار الأمراء، واستقر الرأي على مقابلة وعيد المغول بالاستعداد للحرب، وعزز ذلك بقتل رسل المغول؛ ردًا على تهديد هولاكو، وكان هذا التصرف إعلانًا للحرب وإصرارًا على الجهاد، وفي الوقت نفسه بدأ قطز حشد الجيوش، وجمع الأموال اللازمة للإنفاق على الاستعدادات والتجهيزات العسكرية، وقبل أن يفرض ضرائب جديدة على الأهالي، جمع ما عنده وعند أمرائه من الحلي والجواهر، واستعان بها في تجهيز الجيش، استجابة لفتوى الشيخ "العز بن عبد السلام" أقوى علماء عصره. ولم يقتصر الأمر على هذا، بل واجه صعوبة في إقناع كثير من الأمراء بالخروج معه لقتال المغول، فأخذ يستثير نخوتهم ويستنهض شجاعتهم بقوله: "يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته فإن الله مطلع عليه.."؛ فأثرت الكلمة في نفوسهم، وقوت من روحهم، فخرجوا معه وتعاهدوا على القتال .

خرج سيف الدين قطز من مصر (رمضان ٦٥٨هـ/ أغسطس ١٢٦٠م) على رأس الجيوش المصرية، ومن انضم إليه من الجنود الشاميين وغيرهم، وترك نائبا عنه في مصر هو الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب، وأمر الأمير بيبرس البندقداري أن يتقدم بطليعة من الجنود؛ ليكشف أخبار المغول ، فسار حتى لقي طلائع لهم في غزة، فاشتبك معهم، وألحق بهم هزيمة كان لها أثر في نفوس جنوده، وأزالت الهيبة من نفوسهم، ثم تقدم السلطان قطز بجيوشه إلى غزة، فأقام بها يومًا واحدًا، ثم رحل عن طريق الساحل إلى عكا، وكانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين، فعرضوا عليه مساعدتهم، لكنه رفض، واكتفى منهم بالوقوف على الحياد، وإلا قاتلهم قبل أن يقابل المغول،

ثم وافى قطز الأمير بيبرس عند عين جالوت بفلسطين بين بيسان ونابلس، وكان الجيش المغولي يقوده كيتوبوقا(كتبغا) بعد مغادرة هولاكو الشام لبلاده؛ للاشتراك في اختيار خاقان جديد للمغول، وجمع القائد الجديد قواته التي كانت قد تفرقت ببلاد الشام في جيش موحد، وعسكر بهم في عين جالوت.

معركة عين جالوت ونتائجها :

اقتضت خطة السلطان قطز أن يخفي قواته الرئيسية في التلال والأحراش القريبة من عين جالوت، وألا يظهر للعدو المتربص سوى المقدمة التي كان يقودها الأمير بيبرس، وما كاد يشرق صباح يوم الجمعة(٢٥من رمضان٦٥٨هـ/٣من سبتمبر ١٢٦٠م) حتى اشتبك الفريقان، في موقعة "عين جالوت"، وحمل المسلمون على المغول الذين كانوا تحت قيادة كتبغا حملة صادقة، وقاتلوهم باستبسال وشجاعة من الفجر حتى منتصف النهار، وانقضت قوات المغول كالموج الهائل على طلائع الجيوش المصرية؛ حتى تحقق نصرًا خاطفًا، وتمكنت بالفعل من تشتيت ميسرة الجيش، غير أن السلطان قطز ثبت كالجبال، وصرخ بأعلى صوته: "واإسلاماه!"، فعمت صرخته أرجاء المكان، وتوافدت حوله قواته، وانقضوا على الجيش المغولي الذي فوجئ بهذا الثبات والصبر في القتال، وهو الذي اعتاد على النصر الخاطف، فانهارت عزائمه وارتد مذعورًا لا يكاد يصدق ما يجري في ميدان القتال، وفروا هاربين إلى التلال المجاورة بعد أن رأوا قائدهم كيتوبوقا يسقط صريعًا بأرض المعركة. ولم يكتفِ المسلمون بهذا النصر، بل تتبعوا الفلول الهاربة من جيش المغول التي تجمعت في بيسان القريبة من عين جالوت، واشتبكوا معها في لقاء حاسم، واشتدت وطأة القتال، وتأرجح النصر، وعاد السلطان قطز يصيح صيحة عظيمة سمعها معظم جيشه وهو يقول:

"واإسلاماه!" ثلاث مرات، ويضرع إلى الله قائلا:".. يا الله!! انصر عبدك قطز"، وما هي إلا ساعة حتى مالت كفة النصر إلى المسلمين، وانتهى الأمر بهزيمة مدوية للمغول لأول مرة منذ چنگيزخان، ثم نزل السلطان عن جواده، ومرغ وجهه على أرض المعركة وقبلها، وصلى ركعتين شكرًا لله.

كان لهذا النصر أثره العظيم في تاريخ المنطقة العربية والعالم الإسلامي، بل في تاريخ العالم بأسره؛ حيث احتفظت مصر بما لها من حضارة ومدنية، وكانت معركة عين جالوت واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه. وكان هذا النصر إيذانًا بخلاص الشام من أيدي المغول؛ إذ أسرع ولاة المغول في الشام بالهرب، فدخل قطز دمشق على رأس جيوشه الظافرة في(٢٧ من رمضان ٦٥٨ هـ)، وبدأ في إعادة الأمن إلى نصابه في جميع المدن الشامية، وترتيب أحوالها، وتعيين ولاة لها، فأصبحت بلاد الشام حتى نهر الفرات تحت حكم المماليك، وأثبتت هذه المعركة أن الأمن المصري يبدأ من بلاد الشام عامة، وفي فلسطين خاصة، وهو أمر أثبتته التجارب التاريخية التي مرت على المنطقة طوال تاريخها، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركة هي توحيد مصر وبلاد الشام تحت حكم سلطان المماليك على مدى ما يزيد عن مائتين وسبعين سنة .

حاول هولاكو أن يثأر لهزيمة جيشه في عين جالوت، ويعيد للمغول هيبتهم في النفوس؛ فأرسل جيشًا إلى حلب، فأغار عليها ونهبها، ولكنه تعرّض للهزيمة قرب حمص في المحرم ٦٥٩هـ/ ديسمبر ١٢٦٠م، فارتد إلى ما وراء نهر الفرات. ولم تساعد الأحوال السياسية المغولية في أن يعيد

هولاكو غزواته على الشام، ويستكمل ما بدأه، فبعد موت "منگوقا آن" تنازع أمراء البيت الحاكم السلطة، وانقسمت الإمبراطورية المغولية إلى ثلاث خانات مستقلة، استقل هولاكو بواحدة منها هي خانية فارس، ثم دخل هولاكو في صراع مع "بركة خان" صاحب القبيلة الذهبية، "مغول القبجاق" (جنوب روسيا)، واشتعلت الحرب بينهما. وكان هولاكو يعد نفسه نصيرًا وحاميًا للمسيحية بتأثير زوجته "دوقوز خاتون"، في الوقت الذي أسلم فيه بركة خان، ومال إلى نصرة المسلمين، وأدى هذا الصراع إلى تعطل النشاط الحربي لهولاكو في الشام، ثم ما لبث أن أدى نشوب الحروب الداخلية بين أمراء المغول إلى توقف عمليات الغزو والتوسع تمامًا. ورغم ما اشتهر به هولاكو من قوة وغلظة وإسراف في القتل وسفك الدماء، لم يغفل تشجيع رجال الأدب والعلم، فحظي "الجويني" المؤرخ الفارسي المعروف بتقديره، ونجح في إقناع هولاكو بألا يحرق مكتبة الإسماعيلية، ونتيجة لارتحاله إلى منغوليا، ووقوفه على الأحوال هناك ألّف كتاب "تاريخ چنگيز خان وأخلافه"، ويؤثر عنه أنه كلف العالم الرياضي "نصير الدين الطوسي" ببناء مرصد في مدينة "مراغة"، زوده بأدق الأجهزة المعروفة في زمانه، ويقال بأن المكتبة التي أنشأها الطوسي وألحقها بالمرصد كانت تحوي ما يزيد على ٤٠٠ ألف مجلد .

توفي هولاكو في ١٩ من ربيع الأول٦٦٣هـ/٩ من يناير١٢٦٥م بالقرب من مراغة وهو في الثامنة والأربعين من عمره، تاركًا لأبنائه وأحفاده مملكة فسيحة عرفت بإيلخانية فارس، ولم تلبث زوجته "دوقوز خاتون" أن لحقت به، وحزن لوفاتهما المسيحيون بالشرق، وعدّوهما من القديسين .

مظاهر الحضارة في العصر المغولي

الحياة الاجتماعية :

كان المجتمع المغولي يقوم على الطبقية، فقد كانت القبيلة مقسمة إلى ثلاث طبقات (طبقة النبلاء، وكانوا يلقبون بالألقاب "بهادر" أي الباسل و"توبان"–أي النبيل–و"ستسن"–أي الحكيم–، والطبقة الثانية طبقة الـ"نوكور" –أي الأحرار–وعلى هؤلاء كان يرتكز النظام العسكري والسياسي في منغوليا ، زمن "چنگيز خان"، وكانوا يؤلفون طبقة المحاربين والموالين له. والطبقة الثالثة، هي طبقة العامة، وطبقة الأرقاء . وكان لكل جماعة أو عشيرة من المغول رئيساً، قد يكون ملكاً "خان، قان" أو زعيماً "باكي أو بكي، وبهذا اللقب اشتهر رؤساء قبائل الغابة أمثال "أويرات، ومركيت. وكانت بعض القبائل الصغيرة تلجأ أحياناً إلى إحدى القبائل الكبيرة على عادة البدو في كل مكان، وذلك لعجزها عن الدفاع عن نفسها كما حدث لقبيلة "الجلائر" في علاقاتها مع أجداد "چنگيزخان"، وما جرى أيضاً لقبيلتي "قنقرات، و"أويرات" حينما خضعتا لچنگيز خان، لقد أثرت البيئة التي عاشت فيها تلك القبائل تأثيراً كبيراً على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فمناخها القاري، والسعي وراء الأعشاب لرعي الماشية والأغنام فرضت عليهم مع مرور الزمن نمطاً معيناً من الحياة، فقد عاش الترك المغول الذين أقاموا في منطقة الغابات، حول بحيرة "بايكال" ونهر عامور، عيشة المتبربرين، ويعيشون على صيد الحيوانات في الغابات، وعلى صيد السمك في الأنهار والبحيرة، وأما الذين كانوا يعيشون في الاستبس فقد عاشوا على تربية الخيل والماشية والأغنام، يلتمسون العشب، ويسير الرجل في أثر قطعانه، وتوزيع المراعي والمياه حدد مجال تحركهم في فصول السنة، وكثيراً ما كانت تحركاتهم نحو المراعي

سبباً في المنازعات والغارات والسلب والنهب، وما كان يمارسه الرعاة من التدريب المستمر على ركوب الخيل، والسعي لاكتشاف المراعي والمياه، واستخدام الأسلحة، وما يتصفون به من قوة الاحتمال، ومعاناة الجهد والتعب، والشجاعة، والميل إلى الحركة، وحب المخاطر، واتساع الأفق، وحب التسلط، كل ذلك جعل رجال هذه القبائل عبارة عن جنود بارعين، وجيش جاهز في كل لحظة، وعندما جاء "چنگيز خان" واستطاع توحيد هذه القبائل تحت حكمه، نظم لهم نوعاً من الحياة الاجتماعية مستفيداً من التجارب التي عاشها والشدائد التي عاناها، وما قام به من حروب وغزوات.

مجلس الحكم والياسا الجنكيزية :

كان "چنگيز خان" حريصاً على جمع كلمة القبائل الخاضعة له، وعلى كبح جماحها، والزامها بالنزول على حكمه، ولذا اتجه بعد أن استتب له الأمر، إلى إصلاح الشئون الداخلية، فأنشأ مجلسًا للحكم يسمّى "قوريلتاي" سنة٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، ودعاه للاجتماع، وفيه تحددت لأول مرة شارات ملكه، ونظم إمبراطوريته، ووضع لشعبه دستورًا محكمًا يسمى "قانون الياسا"؛ لتنظيم حياة المغول، فقد رأى أن الآداب والأعراف والتقاليد المغولية لا تفي بمتطلبات الدولة الجديدة، حيث اقتضت حياة المغول رغم بدائيتها وبساطتها أن تكون لهم قبل چنگيز خان مجموعة من الآداب والتقاليد، ولكنها لم تكن مدونة، لأنهم كانوا يجهلون الكتابة، فلما جاء چنگيز خان، أعاد النظر في هذه العادات، ورد بعضها وقبل معظمها وأضاف إليها بعض الأحكام والقواعد وجعل لها صبغة رسمية، فاشتمل هذا القانون على عقوبات بالغة الصرامة، حتى يقضي على أسباب الفوضى، ويعيد الأمن إلى نصابه، وتحدد في هذا القانون علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة المحكومين بعضهم

ببعض، وعلاقة الفرد بالمجتمع. وأمر بأن يتعلم الأطفال المغول الخط الأويغوري، كما أمر بأن تدون تلك النظم والأحكام بهذا الخط، وأن يحتفظ بها في خزائن أمراء المغول، وقد أطلق على كل حكم من هذه الأحكام والقواعد اسم (ياسا)، وهي كلمة مغولية تأتي بمعنى حكم وقاعدة وقانون، ولما كان كتاب الياسا يشتمل على جزء كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزاء والعقاب وغالباً ما يكون ذلك بإعدام الشخص المذنب، صار أحد معاني هذه الكلمة (ياسا) القتل والموت، وأما مجموع هذه الأحكام المكتوبة التي أقرها چنگيز خان فإنه يطلق عليها (كتاب الياسا الكبير)، وكان چنگيز خان يعتقد بأن تعاليم الياسا صالحة لكل زمان ومكان، وفرضها على الجميع بدون استثناء، حتى عليه هو نفسه وأفراد سلالته[1] .

استطاع چنگيز خان أن يحول جموع المغول إلى جيوش منظمة، تسير وفقاً لخطط حربية مرسومة، وكان المغول يتخذون غذاءهم من لحوم الحيوانات على اختلافها من خيول وكلاب وذئاب وثعالب وفئران، وكان غذاؤهم قليلًا وخاصة في الشتاء إذ تقسوا عليهم الطبيعة، ولهم طريقة في حفظ اللحوم، وهي أنه إذا مات عندهم حيوان قطعوا لحمه شرائح رقيقة وعلقوها في الشمس والهواء لتجف دون أن تعتريها العفونة.

وكانت ملابسهم بسيطة جداً تتفق والبيئة التي يعيشون فيها، وكانت في الغالب مصنوعة من أصواف أو وبر الإبل أو من جلود الحيوانات، ولم يكن فرق كبير بين ملابس الرجال وملابس النساء، وكان من عادة المغول أنهم لا يغيرون ملابسهم طول فصل الشتاء، وأما في الصيف فيكتفون بتغييرها

([1]) علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٥٦-٥٧

مرة واحدة كل شهر، ومن عادتهم ألا يغسلوا ثيابهم أبداً بل يلبسونها حتى تبلى، وكان من عادتهم طلاء أجسادهم بالشحم اتقاء البرد والرطوبة[1] .

العادات والتقاليد :

كان للمغول عادات وتقاليد اجتماعية سار عليها چنگيز خان وأبناؤه من بعده، ونشير إلى أهمها، لكونها جزء من مقومات المشروع المغولي في عهد چنگيز خان، فمن المعروف عن المغول أنهم كانوا يسكنون الخيام، كما هو المتبع عند البدو، وكانوا يسمون أمكنة إقامتهم في المصايف والمشاتي (يورث) أو(أردو)، وجرياً على هذه العادة كانوا يختارون أماكن معينة يقضون فيها الصيف، يقال لها(ييلاق)، وأخرى يمضون فيها الشتاء تسمى(قشلاق)، واستمروا يسيرون على هذا التقليد حتى بعد أن فتحوا كثيراً من البلاد المتمدنة، واضطروا إلى سكن العواصم، فكانت لهم أمكنة يقيمون فيها صيفاً، وأخرى يقيمون فيها شتاء وهذه الخيام في المصايف والمشاتي، كانت تتخذ صفة المدينة الكبيرة، إذ أنه بالإضافة إلى كثرة الخيام والأكواخ، فإن السكان الذين يصحبون الخان، كانوا يمثلون جميع الطوائف من قادة الجيوش إلى القضاة والكتاب والصناع والتجار وغيرهم، وكان أرباب الحرف والصناعات يزاولون عملية البيع والشراء، ويمدون هذه المدن المتنقلة بما يلزمها من الحاجيات، وكانت عادة المغول في حالة حدوث أمر هام، كتنصيب ملك جديد أو القيام بحملة حربية أن يدعى أمراء المغول وأقاربهم للاجتماع للتشاور في مختلف المسائل المطروحة على بساط البحث، وهذه المجالس يقال لها بالمغولية (قوريلتاي)، وأما عن الزواج، فقد كان للخان أن

([1]) علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولـة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٢٣– ٢٥

يتزوج بمن يشاء من النساء، وكان يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات والعادة المتبعة أنه إذا تغلب على ملك أو أمير أو عقد معه اتحاداً أو تحالفاً، فإنه كان يتزوج من ابنته أو أخته وأمه إذا تغلب عليه وقتله، فكان يتزوج من امرأته، وكان چنگيز خان يسير على تلك الطريقة، ويقال إن عدد زوجاته كان يزيد عن ٥٠٠ زوجة، وكان المغول يفضلون أبناءهم من الزوجة التي يؤثرونها على غيرها من النساء، وبعد موت الخان كانت تئول جميع نسائه إلى أكبر أبنائه، وله الحق في أن يتزوج بمن يشاء منهن، وذلك باستثناء والدته، كما أن له أن يمنحهن لأصدقائه أو يطلق سراحهن، وأما مجموع الأبناء والأقارب والأشخاص الذين هم من عشيرة الخان أو الأمير، فقد كان يطلق عليهم كلمة (أُرُوغ) بمعنى (عشيرة) أو(سلالة)، أما رعايا الخان الذين يخضعون لسيطرته، فقد كان يطلق عليهم لفظة (أولوس)[١].

الديانة :

لم يكن للمغول دين واحد يعتنقونه ويجتمعون عليه، فنجدهم على دين: الشامانية، وهي نوع من الديانة الوثنية، وتتمثل في عبادة كل شيء يهابه المغول ويخشونه، فلهم آلهة في النهر والجبل والشمس والقمر والبرق والرعد، وتقربوا من هذه الآلهة اتقاءً لشرها وأذاها، وجلبًا لرضاها راجين منها الصحة في أجسادهم وعقولهم. وهذا فضلًا عن عبادة أرواح أجدادم؛ لاعتقادهم بأن لهذه الأرواح سلطانا كبيرا على حياتهم، بالإضافة لحبهم لإعمال السحر والتنجيم لكشف الغيب والمستقبل، ويقال أن چنگيز خان كان على دين الشامان، كما أنه لم يكن متعصبًا لدين بعينه، بل يحترم جميع الأديان.

---

(١) علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٧٧– ٧٨

البوذية :

حلت محل الشامانية، انتشرت هذه الديانة سريعا بين طوائف المغول، خاصة بعد أن استقرت في هضبة التبت، وأخذ دعاتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من آسيا. وعندما اعتنق الخان الأعظم (قوبيلاي) هذه الديانة ازداد نفوذها.

المسيحية :

وجدت لها مجالًا خصبًا بين المغول، فاعتنقوها على المذهب النسطوري المنتشر آنذاك .

الإسلام :

عند غزو خلفاء چنگيز خان لأوروبا، أوقعوا بأهلها الكثير من النكبات من قتل وأعمال مدمرة أراد أهل هذه البلاد التحالف معهم ضد المسلمين وخاصة بعد ما لاقاه المسيحيون من عطف ورعاية من المغول، لكن باءت محاولات أعداء الإسلام بالفشل ليتم النصر للمسلمين، إذ اعتنق زعيم القبيلة الذهبية(بركة خان) الإسلام، وأسلم بعده باقي رعيته، وتوطدت العلاقات بينه وبين الظاهر بيبرس، كما اعتنق أبناء هولاكو في إيران الإسلام، ومنهم أحمد تكوادار، الذي اعتنق الإسلام وجعله دينًا رسميًا في البلاد[1] .

الجيش المغولي :

نظَّم (چنگيز خان) جيشه على التدرج العسكري، كالآتي:

• التوكان (تومان): يتكون من عشرة آلاف شخص (محارب) ويسمى فائدة (نُويان)، أو (نوين).

([1]) ريهام المستادي: رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩، ص ٥

• الكوكبة: تتألف من خمسين شخصاً (مُحارب) ويُسمَّى آمره (يوزباشي).
• المقدِّمة: تتألف من خمسين شخصاً (مُحارب) ويُسمَّى آمره (أونباشي).
• الجماعة: تتألف من عشرة أشخاص(محاربين) وتعد هذه أصغر وحدة مقاتلة، قد يجوز تجزئتها، فتقاتل وتعيش وتموت سويّة .

كانت جميع الوحدات مزوَّدة بخيول من لون واحد، وبمعدَّل خمسة خيول احتياطيَّة لكلِّ محارب؛ إذا إنَّ الجواد كان السلاح الرئيسي في جيش المغول، فكانت جيوشهم تتألف من الخيالة فقط، وكانت هذه الخيَّالة مقسَّمة إلى ثلاثة أنواع:

– السرايا الفدائيَّة، واجبها"فتح المعركة"، وذلك بالشروع بالقتال والاشتباك مع العدو

– سرايا الصاعقة، وهي الخيَّالة الثقيلة، واجبها التغلغل في صفوف الأعداء واستثمار الفوز.

– السَّرايا الخفيفة، وهي من الخيَّالة الخفيفة، واجبها المطاردة، وستر الجناحين في القتال .

التسلح والتجهيز: كان الجواد في الجيش المغولي يعد السلاح الأساسي، ويُسلَّح المقاتل بسيف ورمح وقوسين، أحدهما للرَّمي أثناء رُكُوب الخيل، والثاني للرَّمي بدقة، كما كان يُجهِّز الثلاث جُعب مُعبَّأة بسهام مختلفة، وبأدوات حفر خفيفة وأرزاق احتياطية، وقُربة تُعلَّق بذيل الجواد، لوضع أجهزته فيها، وتساعده في اجتياز الأنهار والتُّرع والجداول المائية، وكان المقاتل يتدرَّع بدرع من الجلد، وأمَّا القادة فبالإضافة إلى الأسلحة كانوا يزودون بجلد رقيق مُستدير، تحيط حافته عُري يربط فيها حبل، بحيث يصبح جيباً مستديراً يُلقون فيه ملابسهم، وأسلحتهم وغيرها من الأمتعة، حتى

يمتلئ تماماً، ويقفل، ثم يضعون وسط كل هذا أسرجتهم وأمتعتهم، وأما المقاتلون الآخرون، فكان يحمل كل منهم قربة متينة الحياكة يضع فيها كُلَّ أمتعته، ثم تُعقد فوهتها، وتربط بذيل جواد لعبور النهر، كما تستخدم هذه القربة نفسها لخزْن الماء حين اجتياز الصَّحاري .

أساليب القتال: كان الجيش المغولي يتقدم بقيادة چنگيز خان على جبهة عريضة، وبثلاثة أرتال: جناح أيمن، وجناح أيسر ووسط، كان الجناحان الأيمن والأيسر يتقدمان على مستوى واحد تقريباً، في حين كان وسط الجيش يتقدم متأخراً قليلاً عن الجناحين الأوَّلين، بحيث يسمح له بمساندة أي منهما، دون أن يعرض نفسه للصدمة المعادية، كما يسمح في الوقت نفسه للجناحين الآخرين بتطويق مؤخرة العدو إذا تعرض الوسط للمهاجمة، لقد اعتمد چنگيز خان في بناء جيشه على مبدأ الشعب المسلح، كما اعتمد خطط الحرب الخاطفة، وكانت المسافة الأرتال الثلاثة لا تتعدى مسيرة يوم واحد، وكان چنگيز خان يتقدم بجيشه ليلاً ونهاراً، وقبل وصوله إلى هدفه بأيام قليلة كان تقدمه ليلاً فقط، وفي منتهى الكتمان، ثم يعقب ذلك التسلل هجوم عنيف ومفاجئ فجراً، وكان يستخدم إشارات الميدان أثناء القتال، وكان يستعمل الأعلام نهاراً والمصابيح أو إضرام النار ليلاً، ولقد استخدم چنگيز خان في حروبه جميع خطط المخادعة والمباغتة، وكان يعقد المعاهدات مع خصومه لشلهم وبذل الشقاق في المملكة التي يريد دمارها قبل إعلان الحرب عليها .

الاتصالات في الجيش: اهتم چنگيز خان كثيراً بالاتصالات في الجيش المغولي، وكانت كما يلي:

-الاتصالات بين التشكيلات: وكانت على أسلوبين، الأول: بواسطة المخابرة البصرية، وتتم نهاراً لاعطاء الإشارة بالعلم الذي حمله حامل العلم المرافق لقائد التومان، وليلاً بواسطة فانوس أحمر، وكانت إشارة واحدة من العلم أو الفانوس كافية لتحريك السرايا. الثاني: الاتصالات بين مقر الجيش في الجبهة ومجلس الحرب الأعلى في العاصمة (قرة قورم)، وتتم هذه بواسطة آمر خط المواصلات، حيث كان الطريق بين الجبهة والعاصمة يقسم إلى قواطع، يكون مركز كل منها في أكبر مدينة في ذاك قاطع، كان (الداروجا) أو آمر خط المواصلات آمراً لمركز الاتصالات أو كما يسميه المغول (يام)، يوجد في هذا المركز آمر مركز الاتصالات، وكاتب لتسجيل وقت مرور السعاة ومغادرتهم المركز، والأشخاص الذين مروا بهم في ذهابهم إلى الجبهة أو إيابهم إليها، وعدد من الأشخاص لحراسة المركز، وعدد كبير من الخيول السريعة، كانت واجبات الرجال المخصصين بواجبات المراسلة من أولئك الذين يستطيعون قطع (٨٠-١٠٠كم) في اليوم الواحد .

- **القيادة:** كان چنگيز خان يعين قادته من بين حرسه الخاص، وبهذا الأسلوب، جعل قيادة القوات العسكرية في جميع أنحاء الإمبراطورية الشاسعة بأيدي رجال يعرفهم معرفة شخصية، وقد جربهم بنفسه، وأن ما قام به أولئك القادة من أعمال مجيدة بالنسبة للمغول دليل على مقدرته في اختيار قادته.

- **أساليبهم في الحرب وسلوكهم مع المغلوبين:** قبل قيام المغول بغزو إقليم من الأقاليم، كانت تطرح في جلسة "القوريلتاي" الخطة الحربية التي سوف يتبعونها، وإذا استقر الرأي على الغزو، أطلق المغول جواسيسهم في بلاد العدو، فيجمعون الأخبار، ويستقصون حالة الجيش، ويختبرون حصون المدن، ثم يعودون بهذه المعلومات إلى بلادهم، ويطلعون قادة الجيش عليها،

وبعد ذلك يرسل الخان رسلاً من قبله إلى حكام الأقاليم، وسكان المدن لدعوتهم إلى التسليم والنزول على طاعته، وكانت أعمال المغول الإرهابية تلقي الفزع في نفوس سكان البلاد التي يزمعون الإغارة عليها، وكانت قلوبهم تنخلع رعباً وفزعاً حينما يوجهون إليهم إنذارهم المعتاد، فإذا رفضوا التسليم وأصروا على المقاومة، تقدم المغول لمحاربتهم، حتى إذا ما شارفوا أبواب المدينة، دعوا الناس للمرة الأخيرة إلى الدخول في طاعتهم، فإذا خرج عظمائهم وذوو الرأي فيهم، وحملوا إليهم الهدايا والتحف، وقبلوا تزويد الجيش المغولي بما يحتاج إليه من مؤن، فإن المغول لا يتعرضون لهم بالأذى، ويكتفون بأن يرسلوا إلى المدينة حاكماً من قبلهم، أما إذا اتخذ السكان طريق العصيان، وسلكوا سبيل المقاومة، فإنهم لا يعقدون مع أهلها صلحاً في حالة عجزهم على مواصلة القتال واضطرارهم للتسليم، بل يصدر الخان أوامره بقتل جميع السكان، كذلك يأمر قواته بتخريب المدينة وإباحة القتل العام، مع الإبقاء على الصناع وأرباب الحرف وبعد ذلك يرسلونهم إلى تركستان ومنغوليا، ويختارون من بين الأسرى من يصلح للقتال، فيكونون منهم قوات غير نظامية، ثم يعملون سيوفهم في الباقين، فإذا أصر أهالي المدينة على المقاومة، رغم فرض الحصار عليها مدة طويلة فإن المغول يهاجمونها، ويستولون عليها عنوة، أما إذا التقى المغول بجنود أعدائهم في أرض سهلة، فإنهم يهاجمونهم ليلاً ونهاراً حتى ينهكوا قواهم، وتكون النتيجة أما أن يستسلموا لهم، وأما يلوذوا بالفرار، وبعد المعركة يعطي الخان كل محارب من جنوده نصيباً عادلاً من الغنائم والأسلاب، كما يترجل عن حصانه ليعطيه من هو في حاجة إليه[1].

([1]) انظر: علي محمد محمد الصَّلاَّبي: دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، ص ٦٥- ٧١

الفصل الثاني

الإيلخانيون

الدولة الإيلخانية

استقر المغول في إيران، وأسسوا دويلتهم تحت اسم "دولة الايلخانيين"، واكتسب المغول في إيران عادات جديدة، وغيروا طريقة لباسهم ومعتقداتهم، وأسلوب حياتهم، وتأثروا كثيراً بالحضارة الإيرانية، فعينوا الإيرانيين في المناصب الإدارية، واستبقوا النظام الإقطاعي في الحكم. ومن أبرز حكامهم:

أباقا خان :

ولد أباقا بن هولاكو في جمادى الأول ٦٣١هـ/ فبراير ١٢٣٤م، وهو ثاني حكام الإيلخانيين، وخليفة هولاكو خان مؤسس مملكة الإيلخانات، وأمه "سونجين خاتون" قدمت مع هولاكو من منغوليا، أما زوجة أبيه هي أميرة من قبيلة الكرايت" واسمها "دوقوز خاتون" وهي مسيحية متدينة، وانتهج نهج والده في التقرُّب من القوى المسيحيَّة بفعل تعرُّض الدولة الإيلخانيَّة لخطر المسلمين الممثلين بالمماليك في الجنوب، ومغول القبيلة الذهبيَّة في الشمال، إضافة للمغول الجغطائيين بآسيا الوسطى، الذين انتهز كلٌ منهم وفاة هولاكو وسعى للتوسع على حساب مغول فارس. وقد نُصّب أباقا إيلخانًا بصفة رسمية عام ٦٦٣م بعد مرور أربعة أشهر على وفاة والده، ولم يُعد توزيع الإقطاعات وحكومات الولايات إلَّا بعد مرور أربعة أشهر أخرى .

بعد تتويج أباقا خان على عرش إيران الإيلخانية، عين أخاه يشموت حاكمًا على دربند وشروان وصحراء موغان والأتاغ، وأسند قيادة جبش المغول على أطراف بلاد الروم وحدود الشام إلى اثنين من قادته، وولى سونجاق نويان على إقليم فارس وبغداد، وقد أبقى الأخير عطا ملك الجويني في حكومة بغداد من قِبله، والذي كان قد تولى هذا المنصب عام ٦٥٧هـ

من قبل هولاكو، وكان منصب وزارة أباقا خان من نصيب خواجه شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان، كما كان في الفترة الأخيرة من حكم هولاكو، فانشغل هو في تبريز وابنه خواجه بهاء الدين محمد في أصفهان والجزء الأكبر من العراق العجمي بإدارة شئون الدولة، وتولى حكم خراسان اثنان من الحكام المحليين، وتولت تركان خاتون حكم كرمان، وتولت الملكة آبش خاتون حكم إقليم فارس، وتولى الملك شمس الدين كرت الحكم في هراة وغور وكرجستان، وتولى أتابكة محليون الحكم في لورستان ويزد .

تولى علاء الدين عطا ملك الجويني وكل أنحاء العراق العربي اسميًا من قبل سونجاق طوال فترة حكم أباقا خان(٦٦٣-٦٨٠هـ)، لكنه كان في الحقيقة مستقلًا تمامًا في عمله، وقد سعى في تلك الفترة لإعمار العراق العربي، وإصلاح ما خُرّب في عصر المغول، فبنى العديد من القرى، وشق الترع للزراعة، حتى قيل إن بغداد في عهده كانت أكثر ازدهارًا مما كانت عليه في عصر الخلفاء .

هيأ خواجه شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان، وأخوه عطا ملك الجويني أسباب ازدهار دولة أباقا خان، فعمل صاحب الديوان على جمع الضرائب من كل الممالك، وإدارة شئون الحكم والسياسة، فشهدت إيران في عصره إزدهارًا ورخاءً كبيرين، وتحققت لصاحب الديوان من جرّاء ذلك شهرة وجاه وثروة كبيرة، أما ابنه بهاء الدين فكان رجلًا سريع الغضب، شديد البطش، ولم يعرف أهل أصفهان الراحة والأمن في عهده .

اختار أباقا خان مدينة تبريز عاصمة له، وكان يقضي فصل الشتاء في أران وبغداد وعلى ضفاف نهر جغاتو، والصيف في الأتاغ وسياه كوه، وشهدت تبريز في عهده وفي ظل وزارة صاحب الديوان شمس الدين ازدهارًا

كبيرًا، خاصة وأن تلك المدينة لم تتعرض لكثير من تخريب المغول، ولم تتعرض لما تعرضت له سائر مدن إيران وبلاد ما وراء النهر من غارات .

تربى أباقا خان في كنف دوقوز خاتون، ورغم اعتناقه البوذية، كان شديد الميل للمسيحية، وقد تزوج من ابنة إمبراطور الروم الشرقية، ويقال إنه اعتنق المسيحية قبل الزواج بناء على طلب من عروسه، وقد حظي رجال الدين المسيحيون في بلاطه بكل اهتمام واحترام . وقد استغل المسيحيون تصاعد حدة العداء بين المغول الإيلخانيين في إيران وسلاطين مصر والشام المسلمين بعد موقعة عين جالوت، وعملوا على مساعدة الصليبيين أعداء مسلمي مصر والشام[1]، ولمَّا كان انتقام المغول لهزيمتهم في عين جالوت متوقعًا، وكان هؤلاء يتعاونون مع المسيحيين الشرقيين وصليبيي أنطاكية للقضاء على الدولة المملوكيَّة، فقد عزم سلطان المماليك آنذاك ركن الدين بيبرس على القضاء على الصليبيين وطردهم من الشَّام، ومحاربة الأرمن؛ وصليبيي أنطاكية؛ لتحالفهم مع مغول إيران، ثم التوسع على حساب هؤلاء في شمال الشام وآسيا الصغرى، والاتصال بمغول القبيلة الذهبيَّة؛ للتنسيق معهم ضد الإيلخانيين .

بدأ بيبرس تنفيذ مخططه بمهاجمة الصليبيين في الشام، فاسترجع لِلمُسلمين قيسارية ويافا(١٢٦٥م)، كما استرجع في السنتين التاليتين صفد والرملة وغيرهما تمهيدًا لاسترجاع طرابُلس الشَّام، وشنَّ غارات واسعة على مملكة قيليقية الأرمينيَّة وإمارتيّ أنطاكية وطرابُلس في سبيل توطيد مركزه في شمال الشَّام للانطلاق للأناضول واستقطاب سلاجقة الروم، لِيتخذ من المنطقة حاجزًا في وجه الإيلخانيين من جهة، ويتصل بمغول القبيلة الذهبيَّة

(1) عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية، ص ٢١٧- ٢١٩

من جهة أخرى. وفي شهر ذي القعدة عام ٦٦٤هـ/أغسطس١٢٦٦م، هاجم الجيش المملوكي الأرمن وتغلب عليهم، ثم اجتاح قيليقية فنهب أياس وأضنة وطرسوس، وبلغ العاصمة "سيس"، فنهبها وأشعل النار بها، ثم انسحب من المنطقة نهاية شهر ذي الحجَّة(سبتمبر) عائدًا إلى حلب، ومعه الأسرى والغنائم، واضطرَّ ملك الأرمن لمفاوضة بيبرس وعقد اتفاقيَّة هدنة معه، خاصة وأنَّ أباقا كان مشغولًا بحرب مغول القبيلة الذهبيَّة، والمغول الجغطائيين بتركستان، ولم يكن بوسعه تقديم المساعدة لملك الأرمن.

في الوقت الذي كان فيه المماليك يضربون حلفاء المغول الإيلخانيين في الشَّام، كان أباقا يخوض حربًا على جبهتين: في ما وراء النهر والقفقاس، فقد طمع "براق بن ييسون" خان المغول الجغطائيين بضم خراسان وآذربايجان إلى أملاكه، وعقد حلفًا مع مغول القبيلة الذهبيَّة مُوجهًا ضد الإيلخانيين، ولكن أي هجوم مشترك لم يتحقق، فأغار بركة خان بدايةً على ولايتيّ أرَّان وتوغَّل فيهما، وذلك في شهر صفر٦٦٤هـ/نوفمبر١٢٦٥م، فنهض أباقا لصد هذا الهجوم، وأرسل جيشًا بقيادة أخيه يشموت؛ لصد هجوم جيش القبيلة الذهبيَّة، فتغلب عليهم وأرغمهم على التقهقر. ولم يلبث أن توفي بركة خان، ولم ينتقم لهزيمته، مما منح أباقا الفرصة للتفرُّغ للجغطائيين والمماليك.

ظهر أثر الترابط المغولي–الصليبي واضحًا عندما انتهز أباقا فرصة انهماك المماليك بمحاربة الصليبيين، فأغار على مناطق الحدود، ففي عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، هاجم مدينة الرحبة على الحدود الفُراتيَّة في الوقت الذي كان فيه المماليك يُهاجمون صفد، وأرسل بعثةً إلى الغرب الأوروبي حملت رسالةً مُؤرَّخةً من في في٢٢ ذي القعدة ٦٦٦هـ/٣ أغسطس ١٢٦٨م، أعلم فيها أباقا "البابا كليمنت" الرابع بسوء موقف حلفاء مغول إيران في الشرق

الأدنى بعدما سقطت أنطاكية بيد المسلمين في السنة ذاتها، وضعفت مملكة قيليقية الأرمينيَّة وأُنهكت قواها. وعندما وصلت السفارة المغوليَّة إلى روما في عام ٦٦٧هـ/١٢٦٩م، كان "كليمنت الرابع" قد تُوفي، ومن ثَمَّ أبحرت إلى أرغون وبقيَّة ممالك أوروبا الغربيَّة، عارضة على ملوكها التعاون ضدَّ المسلمين، وقد اعتقد بعض الملوك الأوروبيين أن المغول سيهاجمون أوروبا بعد القضاء على المماليك، فتراجعت فكرة تكوين اتحاد عسكري معهم، أمام هذا الواقع، أرسل أباقا إلى بيبرس يحاول التفاهم معه، لكنَّ رسالته تضمَّنت تهديدًا إلى جانب الترغيب بالصلح، فرفض بيبرس مبدأ الصلح .

تعرَّضت الدولة الإيلخانيَّة، في غضون ذلك، إلى هجوم المغول الجغطائيين من الشرق، إذ عبر "براق خان بن بيسون" نهر جيحون على رأس جيشٍ كثيف، واصطدم بالجيش الإيلخاني عند هراة وباذغيس، وتغلَّب عليه، وطارد فُلوله حتَّى أخرجه من خراسان، واستولى عليها، وأرسل "بُراق" إلى الملك "شمس الدين محمد كرت" صاحب هراة، يدعوه إلى الدخول في طاعته، ويخبره باستيلائه على خراسان، وعزمه الزحف نحو في والعراق، ووعده بمنحه إقليم خراسان إذا ساانده بقواته، فوافق شمس الدين على مضض، ثمَّ تراجع عن ذلك عندما علم باستعداد أباقا للزحف على خراسان وشعر بِدنوِّ أجل الدولة الجغطائيَّة بعدما طغى "براق خان" في البلاد، وتطاول وبغى وأرهق الناس بشتَّى المطالب والمُصادرات، فاعتصم بقلعة خيسار في هراة، وراح يترقَّب نتيجة الصراع. وجهَّز أباقا جيشًا جرَّارًا، وسار على رأسه في شهر رمضان عام٦٦٨هـ/أبريل١٢٧٠م، قاصدًا خراسان ، واصطدم بخصمه في شهر ذي الحجَّة/ يوليو، وتغلَّب عليه، وكبَّده كثيرًا من القتلى، وفرَّ براق عبر نهر جيحون بمشقَّة بالغة إلى بلاد ما وراء النهر،

حيثُ تُوفي بعد فترة قصيرة متأثرًا بإصابته الجسديَّة والمعنويَّة. تفرَّغ أباقا بعد ذلك للمماليك، وشرع بالإغارة على الشَّام، وحمل عليها عدَّة مرَّات بداية من عام ٦٧٠هـ/١٢٧١م، لكنَّه هُزم في كل مرَّة على يد المسلمين، وظلَّ بيبرس يملك زمام المُبادرة، ويُؤرق عين مغول فارس، واستمرَّ الأمر على هذا المنوال إلى أن توفي بيبرس يوم الخميس٢٧ محرَّم ٦٧٦هـ/ يونيه١٢٧٧م، فاستغلَّ أباقا الاضطرابات الداخليَّة التي سادت الشَّام ومصر بوفاة بيبرس، وتنازُع الأُمراء على السلطة، فأرسل قوَّة استطلاعيَّة في شهر جُمادى الأولى ٦٧٩هـ/سبتمبر١٢٨٠م، إلى شمال الشَّام لجس نبض المماليك، فوصلت تلك القوة إلى حلب وأعمالها، وعاثت في البلاد وبذلت السيف في الناس، وأحرقت منبر المسجد الجامع وغيره من المصالح وفي غضون ذلك كان المماليك قد ولُّوا عليهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، الذي وحَّد كلمة المسلمين في مصر، وتكتَّل خلفه أمراء المماليك، فخرج من القاهرة متوجهًا إلى دمشق حيث دعا إلى التعبئة العامَّة، وسار بجيش قوامه ٣٠٠٠٠ مقاتل باتجاه حِمص حيث دارت بظاهرها رحى معركة طاحنة بين المسلمين والمغول (الخميس١٤رجب ٦٨٠هـ/٢٩أكتوبر١٢٨١م)، أسفرت عن انتصار إسلامي واضح، وقتل كثير من جند المغول، وانسحب الباقون ناجين بحياتهم. ولم يَعش أباقا خان طويلًا بعد ذلك، إذ تُوفي ٢ذي الحجَّة ٦٨٠هـ /١ أبريل١٢٨٢م، فأُسدل الستار على الصراع المغولي الإسلامي إلى حين.

أحمد تكودار:

أحمد تكودار بن هولاكو خان(٢٦محرم٦٨١هـ/٢٦جمادى الأولى٦٨٣هـ) ثالث حكام الدولة الإيلخانية، وأول من أسلم من الإيلخانيين، كان على علاقة طيبة بالمماليك بمصر والشام، إلى أن تآمر عليه المغول فقتلوه، فكان

أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمنًا لاعتناقه الإسلام. ثمانية عشر عامًا تفصل بين وفاة هولاكو وإسلام ابنه تكودار؛ فقد تُوفِّي "هولاكو" في سنة ٦٦٣هـ/١٢٧٥م عن عمر ناهز ٤٨عامًا، بعد أن أسَّس دولةً كبيرة، قامت بالقهر والبغي، والغدر والوحشية، وبثِّ الفزع والهلع في النفوس، وارتفعت على أنقاض دولٍ إسلاميَّةٍ ذات مجدٍ وحضارةٍ ورقيٍّ ومدنيَّة، وشملت إيران والعراق وآسيا الصغرى وسوريا. أمَّا تكودار فقد أسلم بعد أن تولى عرش سلطنة المغول الإيلخانيين، في٢٦ محرم٦٨١هـ/٦ مايو١٢٨٢م خلفًا لأخيه "أباقا خان". وتكودار هو الابن السابع لهولاكو، وكان في الصين أثناء حملة أبيه على إيران والعراق والشام، ثم قَدِمَ إلى إيران في عهد سلطنة أخيه "أباقا خان" لمساعدته في إدارة شئون الدولة، وكان قد تنصَّر في طفولته، وتعمَّد في صباه، غير أنَّ هواه كان مع المسلمين. وما إن ولي تكودار عرش الدولة حتى أعلن إسلامه على مذهب أهل السنة والجماعة، وتسمَّى باسم أحمد تكودار، فكان أول إيلخاني يعتنق الإسلام، وبذل جهدًا محمودًا في إسلام المغول، فأسلم على يديه كثير منهم، وتهذَّبت طباعهم وحسنت أخلاقهم، وهم الذين أفزعوا الدنيا بهمجيَّتهم وسلوكهم الوحشي. وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ إسلام تكودار بارتياحٍ شديد، خاصَّة منطقة إيران، وعزز من ارتياحهم وشعورهم بالرضى أنَّ سلوك تكودار كان يُظهر إخلاصًا وتمسُّكًا بالدين الإسلامي؛ إذ أرسل كتبًا إلى فقهاء بغداد يُخبرهم فيها بإسلامه، ورغبته الصادقة في حماية الإسلام والدفاع عنه، وقد استقبل علماء بغداد إسلام الإيلخان بفرحٍ شديد، ظهر ذلك في ردِّهم عليه؛ حيث عدُّوه حامي الإسلام والمسلمين، ونعتوه بناشر دين الله المبين. كان من أثر إسلام إيلخان المغول أن مالت نفسه إلى السلم مع جيرانه المسلمين، ورغب

في إحلال الوفاق معهم محل الخصام والخلاف، فأرسل وفدًا إلى السلطان المنصور قلاوون في مصر في جمادى الآخرة٦٨١هـ/ سبتمبر١٢٨٢م)، وضمَّ هذا الوفد شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي، والعلامة قطب الدين الشيرازي قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود سلطان سلاجقة الروم. وحمل الوفد رسالة للسلطان قلاوون تُخبره بإسلام تكودار، ورغبته في إحياء الشريعة الإسلامية في المجتمع المغولي، وبما قام به من إصلاحات وبناء للمساجد والمدارس، وتيسير سبل الحج، ورعاية شئون الحجاج، وحملت الرسالة رغبة تكودار في أن تتَّسم العلاقات بين الدولتين بالهدوء والسلام وحسن الجوار، ورفضه لقرار مجلس شورى المغول (القوريلتاي) في إيفاد حملة عسكريَّة على بلاد الشام. وقد ردَّ السلطان قلاوون على تكودار برسالة في شهر رمضان ٦٨١هـ/ ديسمبر١٢٨٢م هنَّأه فيه بدخول الإسلام، وأثنى على جهوده في تطبيق أحكام الإسلام، وطلب منه التحالف بين المماليك والمغول ضدَّ الصليبيين. لم يلقَ اتجاه السلطان أحمد تكودار نحو السلم والمصالحة مع المماليك ترحيبًا من قادة المغول، فشكوه إلى الخان الأعظم "قوبيلاي"، وعدوا مراسلة تكودار لسلطان المماليك، وجهوده في إقامة علاقات ودية معهم خروجًا على قرار مجلس شورى المغول (القوريلتاي) بإرسال حملة جديدة إلى سوريا ومصر، بعد تكرار هزائم المغول أمام المماليك. تجمَّعت كل هذه العوامل بالإضافة إلى إسلام تكودار لتُسهم في تكوين جبهةٍ مضادَّةٍ لتلك السياسة الجديدة، وتزعَّم تلك الجبهة ابن أخيه "أرغون بن أباقا خان"، واتَّخذ من خراسان ثغرًا لقيادته ومعسكرًا لتعبئة جنوده واستقبال أنصاره، وكان ذلك بتأييدٍ من الخاقان "قوبيلاي" وأمراء البيت المغولي، وما إن استكمل عدَّته وعتاده حتى تقدَّم لقتال عمِّه، واشتبك

الطرفان في معركةٍ طاحنة في ٣ من صفر٦٨٣هـ/٢١ من أبريل١٢٨٤م، وتمكَّن تكودار من تحقيق نصر كبير على ابن أخيه، وأوقعه أسيرًا في يده. ولما كان هذا النصر على غير هوى أمراء البيت الحاكم وقادة المغول فقد اجتمعوا وقرَّروا خلع تكودار من الحكم، وتخليص أرغون من الأسر، وتنصيب "هولاكو" بن هولاكو إيلخانًا على إيران، وتمَّت الخطة، وتخلَّص أرغون من الأسر بعد معركة سريعة بين قوَّات تكودار والمتآمرين عليه، قُتل فيها كثير من الأمراء الموالين لتكودار الذي فرَّ من خراسان إلى في لعلَّه يتمكَّن من جمع قواته ومعاودة القتال مع خصمه. وعلى خلاف ما قرَّره البيت المغولي الحاكم من تعيين هولاكو إيلخانًا على إيران فقد نُصِّب أرغون بدلًا منه، وبعد تنصيبه توجَّه لقتال عمِّه، وقبل أن يصل إلى في قام جماعةٌ من أتباع تكودار نفسه بتسليمه إلى أرغون بعد أن رأوا ارتفاع كفَّته وازدياد قوَّته، فأعدمه في ٢٦ جمادى الأولى٦٨٣هـ/١٠ أغسطس ١٢٨٤م، فكان أحمد تكودار أول إيلخان مغولي يدفع حياته ثمنًا لاعتناقه الإسلام .

أرغون :

أرغون خان بن أباقا بن هولاكو، وهو الخان المغولي الرابع، ويعد واحدًا من أكثر سلاطين الإيلخانيين عداء للإسلام والمسلمين، فسعى منذ اليوم الأول لإقصائهم عن جميع الوظائف والمناصب المهمة في الدولة، وعندما شعر" شمس الدين الجويني "صاحب الديوان ببوادر الغدر من أرغون فر من خراسان إلى أصفهان؛ خوفًا من بطشه، ولكنه خشي على أسرته من جبروت أرغون وتنكيله بهم؛ فقرر العودة إلى أصفهان، والتوسل إليه للعفو عنه وعن أقاربه، ولكن خصومه اتهموه بخيانة السلطان السابق ودس السم

له، فعقدوا له محاكمة صورية، وتقرر أن يفتدي شمس الدين نفسه بالمال، فباع أملاكه، واقترض من أصدقائه وقومه، ورغم ذلك فقد صدر الحكم بإعدامه هو وأبنائه الأربعة وحفيده، وعدد من أفراد أسرته، وتم تنفيذ الحكم في٤ شعبان ٦٨٣هـ/١٧ أكتوبر١٢٤٨م، وصودرت جميع أمواله وممتلكاته. وسار أرغون على نهج أبيه وجده من التحالف مع المسيحيين، والسعي الدائب للقضاء على المماليك، والاستيلاء على أملاكهم، ومن ثم فقد حرص على إرسال السفراء والبعوث والرسائل إلى ملوك أوروبا وباباواتها، كما سعى إلى التحالف مع حكام دول أوروبا المسيحية، وإثارتهم لحرب المماليك، وفي سبيل ذلك أرسل السفارات والوفود والرسل إليهم يحملون رسائله لتشجيعهم على التعاون، وحثهم على حرب المماليك، فأرسل رسالة إلى البابا "هونوريوس الرابع" عام(٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ثم أرسل "رابان صوما" (الحبر الصائم)، وكان أحد كبار رجال الكنيسة في آسيا سفيرًا إلى فيليب لوبل ملك فرنسا، وإداوارد الأول ملك إنجلترا سنة ٦٨٦، ٦٨٧هـ/ ١٢٨٧، ١٢٨٨م، فعرض عليهما التحالف معه، وتكوين حلف أوروبي مغولي للقضاء على نفوذ المماليك في آسيا الصغرى والعراق والشام. وقد لقيت تلك الأفكار والمقترحات استجابة كبيرة لدى كل من الملكين، لكنها لم تنفذ .

كان أرغون شديد الاهتمام بالعمران وإقامة الأبنية؛ فأنشأ قصرين كبيرين في الجانب الغربي من" تبريز"، وشيّد مدينة "بين القصرين"، واهتم ببناء العمائر ذات النقوش الجميلة والسقوف المقرنسة والشرفات المقوسة، وسميت المدينة بـ"الأرغونية"، وعُني بترميم الكنائس التي تهدمت في عهد تكودار. وراح أرغون يُقرب المسيحيين واليهود، فعهد بالوزارة إلى طبيب يهودي يُدعى

"سعد الدولة" كان قد نجح في علاجه من علة شديدة أصابته، ومنذ ذلك الحين قرّبه أرغون، وجعله من خاصته حتى إذا ما آلت إليه أمور السلطنة كافأه بمنصب الوزارة، وجعله كبير مستشاريه. مرض أرغون واشتد عليه المرض، وتوفي بعد أيام قلائل(٦ربيع الأول٦٩٠هـ/٩مارس١٢٩١م)، وخلفه أخوه "كيخاتو" لمدة أربع سنوات، ثم "بايدو" الذي شغل العرش أقل من سنة، وكان كُلٌ منهما ضعيف الشخصيَّة، عاجزًا عن القيام بشئون الحُكم، فقُتلا تباعًا، وآل الأمر إلى غازان بن أرغون، ثم أولجايتو، وأخيرًا أبو سعيد .

غازان خان :

تولى "غازان خان"–حفيد هولاكو–العرش عام٦٩٥هـ/١٢٩٥م، وكان عهده العهد الذهبي للمغول في إيران، حيث اعتنق الإسلام، وأصدر قراراً يقضي بأن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وتسمى باسم "محمود غازان"، وصار طابع البلاط في مدينة تبريز العاصمة إسلامياً فارسياً تماماً، وانقطعت علاقته ببلاط خاقان المغول في الصين، وكانت الإدارة الرشيدة والرخاء أهم مميزات عهده، حيث سنت القوانين وفرضت ضرائب منظمة عادلة، وتحقق الأمن الداخلي، فكان عشرة آلاف رجل يحرسون طرق القوافل الرئيسية، وكان لأوروبا مبعثون تجاريون وجاليات من التجار تقيم في تبريز، وفي عام ٦٩٧هـ/١٢٩٧م بدأ "غازان" مسيرة التعمير في تبريز وضواحيها، ولم تمض سنوات كثيرة حتى ظهرت المباني المقامة وسط الحدائق، وكانت تشمل الأربطة والمستشفيات والمدارس ومرصداً ومكتبة وقصراً ومباني إدارية وأكاديمية للفلسفة. حاول "غازان" في أواخر حياته غزو سوريا ومصر، ولكن المصريين هزموه بالقرب من دمشق. وينسب للوزير الفارسي رشيد الدين

فضل الله الفضل في ازدهار دولة المغول في إيران لما بذله خلال فترة وزارته في عهد غازان، وأخوه "أولجايتو" وقد أصدر كتابه "جامع التواريخ" وهو من نوع كتب التاريخ العام وبه جزء مفصل عن تاريخ المغول، وقد استعان في كتابته بأحسن المصادر وأدقها، وقد أتم كتابه عام٧١٠هـ /١٣١٠م وأرسل منه نسخاً عديدة بلغات مختلفة إلى مكتبات المدن الكبيرة، وقد أنشأ خارج تبريز ضاحية سماها "الربع الرشيدي"، خصصها للعلوم والفنون، وسكنها العلماء والفنانون. توفي "غازان" عام٧٠٤هـ/١٣٠٤م.

أولجايتو:

بعد وفاة غازان خلفه أخوه "أولجايتو"، حتى توفي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م وهو في السادسة والثلاثين من عمره، وكان "أولجايتو" قد عُمّد أثناء طفولته على أنه نصراني، ولكنه اختار الإسلام بعد ذلك، واتخذ لنفسه اسم "محمد خدابنده". وفي عام ٧٠٦هـ/١٣٠٦م أمر أولجايتو ببدء العمل في بناء مدينة السلطانية التي تقع على سهل فسيح بالقرب من قزوين، وهي المدينة التي صارت عاصمة الايلخانيين بعد تبريز حيث صارت من أجمل مدن إيران بقصورها ومبانيها وميادينها العامة وأسواقها ومناراتها، وقد تم بناؤها عام ٧١٣هـ/١٣١٣م فصارت مركزاً تجارياً كبيراً.

أبو سعيد :

خلف "أبو سعيد" والده على عرش الايلخانيين وهو في الثانية عشرة من عمره، فتمرد النبلاء وبدأت أقسام من الدولة الانفصال عن كيانها الرئيسي، فبسطت الدولة المظفرية في كرمان نفوذها على فارس وأغلب

الجزء الجنوبي من إيران، وعندما توفي "أبو سعيد" عام٧٣٦هـ/١٣٣٥م تقاتل المطالبون بالعرش من الفروع البعيدة من الشجرة المغولية دون الوصول إلى نتائج حاسمة، وتناحرت البلاد داخلياً خلال ما تبقى من القرن الرابع عشر الميلادي، وكانت الدويلات الصغيرة تحكم فترة قصيرة، كان أقواها دولة آل المظفر ودولة السربداريين الذين استولوا على خراسان ودامغان.

وأُصيبت الدولة الإيلخانيَّة بعد وفاة أبي سعيد، بِالتصدُّع، وتمزَّقت إلى أقاليم لكل منها وضعٌ خاص. وانقسمت إيران، في هذا العهد، إلى قسمين كبيرين بين عائلتين، عائلة چوبان وورثته، وعائلة حسن الجلائري "حسن بزرگ" .

الفصل الثالث

الجلائريون

الدولة الجلائرية

ينسب الجلائريون إلى قبيلة جلائر المغولية، كبرى قبائل المغول ، وهم فرع من قبيلة إلقا، تنتمي إلى تجمع قبائل مختلف عن الذي ينحدر منه چنگيز خان، كانت مواطنهم في بلاد ما وراء النهر، وقد اتخذت قبيلة جلائر من محيط مدينة "خُجند"، الواقعة على ساحل سيحون مستقرًا لها، وكانت قبيلة جلائر تشكل الدعامة الرئيسية التي قامت عليها الإمبراطورية المغولية الإيلخانية، كما كانت معروفة بقوتها وصلابتها؛ إذ إنَّها عارضت چنگيز خان في بادئ الأمر ثم أصبحت عضدًا مهمًّا له وناصرًا قويًّا.

جاء الجلائريون إلى إيران في حدود سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وقد علا شأنهم ومناصبهم في ظل الإلخانات، ثم بسطوا سلطتهم على العراق وفي وخوزستان وأجزاء من إيران، منذ منتصف القرن الثامن الهجري(منتصف القرن الرابع عشر الميلادي)عندما بدأت الدولة الإيلخانية بالتداعي فالسقوط.

كان "إيلكا- نويان" أو "أيلكان" الذي يُشار إليه على أنه الجد الأعلى للسلالة الجلائرية، في عداد حملة هولاكو على بغداد ولذلك كان الجلائريون فيما بعد ينسبون إليه أحيانًا (الإيلخانيون)، وقد تزوج آق بوغا بن إيلكا- نويان من ابنة السلطان أرغون حفيد هولاكو ورابع الإيلخانات، ولذلك حمل اللقب المغولي "كَوركَان" الذي يعني صهر الملك. ورزق آق بوغا من هذا الزواج بولده حسين الذي أنجب فيما بعد حسن مؤسس الدولة الجلائرية التي تعد أهم دولة نشأت من انحلال الدولة الإيلخانية .

الشيخ حسن بزرگ الجلائري مؤسس الدولة :

بدأ حسن حياته السياسية واحدًا من رجال الإدارة في عهد أبي سعيد بهادر(٧١٦-٧٣٦هـ) آخر الإيلخانات الأقوياء، ولما توفي أبو سعيد سنة

٧٣٦هـ/١٣٣٥م دون وريث يخلفه على العرش، تنافس على الظفر بالسلطة الطامعون من أمراء البيت الحاكم مع من يحيط بهم من أنصار، وكان حسن الجلائري واحدًا من هؤلاء المغامرين، واضطر في سبيل ذلك إلى أن يخوض غمار أربع حروب بين٧٣٦-٧٤٠هـ/١٣٣٦-١٣٣٩م. وكان "الشيخ حسن الجلائرى" سياسيا حكيمًا، وأراد أن يضمن لدولته قوتها ووحدتها، فلم يعلن نفسه خانًا أو سلطانًا؛ بل أعلن ولاءه للسلطان المملوكى فى "مصر" ليكون سنده الذى يحتمى به إذا ما فكر المغول فى غزوه، خاصة وأن دولته قريبة ومتاخمة للإمارات والممالك المغولية فساعده هذا التصرف على استقرار بلاده، وشجعه على الاستيلاء على "لورستان"، و"الموصل"، و"تستر"، وبسط نفوذه على غيرها، فاتسعت رقعة بلاده، وامتد نفوذ حكمه. وفي ذي الحجة سنة٧٤٠هـ نادى بنفسه حاكمًا مستقلًا في بغداد متخذًا لقب "السلطان تاج الدين"، ولكنه اشتهر باسم الشيخ حسن الكبير(حسن بزرگ) تمييزًا له من أكثر منافسيه على السلطة شهرة حسن الصغير(كوچك)، وكان حسن الصغير ابنًا لأبرز القادة العسكريين في أيام أبي سعيد .

شملت سلطة حسن بزرگ العراق كلها بعد أن قضى على حكم أحد أشراف الحجاز في الحلة، كما بلغ سلطانه خوزستان، وقام بإعمار ما حلَّ بعاصمته بغداد من خراب منذ حملة هولاكو، وأنفق أموالًا طائلة على إقامة عمارات نفيسة في العاصمة وفي النجف حيث دفن عام٧٥٧هـ/١٣٥٦م.

الشيخ أويس معز الدين الجلائري :

خلف حسن ابنه أويس معز الدين(٧٥٧-٧٧٦هـ/١٣٥٦-١٣٧٤م)، ويعد أويس من ألمع حكام الأسرة الجلائرية بعد والده، وقد عمل على توسيع رقعة الدولة، فاستولى على في من المظفريين حكام فارس سنة٧٦٠هـ

/١٣٥٩م، ثم دَفع بحدود دولته شمالًا إلى موغان وأرّان وشمالًا بشرق إلى شروان وسواحل بحر قزوين، واستغل المنازعات بين أفراد البيت المظفري، فمدَّ نفوذه جنوبًا إلى حدود كرمان وسواحل الخليج سنة ٧٦٥هـ /١٣٦٤م، وكانت آخر أعماله التوسعية ضم الرَّي سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م التابعة لحكومة أستراباد إحدى الدويلات التي قامت بعد سقوط الإيلخانيين في جنوب شرقي بحر قزوين. ونقل أويس عاصمته إلى تبريز، وأقام في ضاحيتها الشهيرة "الربع الرشيدي" وتحوّل العراق إلى ولاية عاصمتها بغداد. وبذلك انتقل نشاط الدولة السياسى ومركزها من العراق إلى في، فأدى ذلك إلى قيام حركات التمرد فى بغداد على الجلائريين، وكانت حركة الأمير أمين الدين مرجان بن عبد الرحمن حاكم بغداد للشيخ أويس من أشهر هذه الحركات. لقد أخطأ الشيخ أويس فى حساباته عندما ابتعد عن العراق واتخذ له عاصمة في إيران، فضلا عن تقريبه الفرس دون العرب، فكانت النتيجة انضمام العرب بمختلف طوائفهم إلى "مرجان" وحركته، وحُذف اسم الشيخ أويس من الخطبة؛ رمز السيادة فى الدولة، وخُطب للسلطان المملوكى في مصر.

خرج الشيخ أويس من تبريز إلى بغداد عام٧٦٥هـ/١٣٦٣م، واستطاع وزيره أن يستميل أعوان "خواجه مرجان" إلى صفه، فانفضوا من حوله، وفشلت حركته، ودخل الشيخ أويس بغداد ثم عيّن "شاه خازن" نائبًا له عليها، ولكن مرجان لم ييأس من المحاولة، وعاد مرة ثانية إلى حكم بغداد عقب وفاة شاه خازن، مما يؤكد حب أهل العراق لمرجان ومكانته عندهم، فاضطر الشيخ أويس إلى الصفح عنه، ثم أرسل ابنه "الشيخ علي" ليحكم العراق. وتُوفى الشيخ أويس عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م .

جلال الدين حسين بن أويس :

اعتلى العرش بعد وفاة أويس ابنه حسين جلال الدين(٧٧٦-٧٨٤هـ /١٣٧٤-١٣٨٢م) فبادر الأمراء الملتفون حوله إلى قتل أخيه الأكبر حسن حاكم بغداد، خوفًا من أن يقوم بالاعتراض على انتقال العرش إلى أخيه الأصغر. وكان السلطان حسين "كريم الشمائل، جسيم الفضائل، وافر الشهامة، ظاهر الكرامة، أراد أن يمشي على سنن والده، ويحيي ما دثر من رسوم آثاره ومعاهده، فخذلته الأقدار، وخالطت صفو مساعيه الأكدار"، فقد أسخط سكان تبريز عليه لانصرافه إلى اللهو وإعراضه عن الاهتمام بأمور الرعية، وأغرت هذه الحال جاره شاه شجاع المظفري بانتزاع العاصمة تبريز منه مدة أربعة أشهر اضطر بعدها إلى الانسحاب لثورة قامت عليه في بلده. وتعددت بعد ذلك حوادث شغب الأمراء في تبريز وبغداد وانتهت بمقتل حسين واستيلاء أخيه أحمد على السلطة، وقيل إن أحمد هو من دبر وقتل أخاه جلال الدين حسين .

غياث الدين أحمد بن أويس:

استولى السلطان أحمد على السلطة بعد مقتل أخيه(٧٨٤-٨١٣هـ /١٣٨٢-١٤١٠هـ) وتلقب بـ "غياث الدين" أو "مغيث الدين". كان غياث الدين أحمد كلفا بالموسيقى والتنجيم، ويجمع معاصروه على وصفه بالغدر والإسراف في سفك الدماء، حتى قيل إنه أقدم سنة ٨٠٢هـ على قتل ألفين من أمرائه وقواد جيشه في أسبوع واحد بتهمة الميل إلى تيمورلنگ .

وفي سنه ٧٨٥هـ نكبت بغداد بهجوم تيمورلنگ الذي أستباحها وهزم السلطان أحمد الجلائري، الذي لجأ إلى مصر مستجيرًا بملك مصر السلطان الظاهر برقوق، فأجاره وجهز له جيشًا زحف به علي العراق، فلما اقترب من

بغداد انضمت إليه الكثير من القبائل العراقية، فألقى الحصار على بغداد وهرب نائب تيمور لنك الأمير مسعود من بغداد، فدخلها السلطان أحمد وقبض على أنصار الأمير مسعود وقتلهم وكان ذلك سنة٧٩٧هـ. وبعد أن استقر له الملك عقد معاهدة مع قره يوسف التركماني صاحب في، واتفقا على مقاومة تيمورلنگ، ولما علم تيمورلنگ بالخبر رجع إلى العراق بعدما فتح الشام ومثَّل بأهلها واكتسح العراق مرة ثانية وارتكب فظائع، فهرب غياث الدين أحمد مع قره يوسف إلى جوار السلطان العثماني بايزيد الأول واستجارا به لينقذهما من تيمورلنگ، فسار تيمورلنگ في أثرهما إلى آسيا الصغرى، وحدثت بينه وبين بايزيد حروب هائلة، كانت نهايتها انتصار تيمورلنگ ووقوع بايزيد في الأسر ومات في أسره، فلجأ كل من السلطان أحمد وقره يوسف إلى مصر. وبعد وفاة تيمورلنگ عاد السلطان أحمد أدراجه إلى بغداد، فجرت معارك حامية بينه وبين ميرزا عمر قائد الجيوش التيمورية وهو حفيد تيمورلنگ. وفي سنة ٨١٣هـ حصل بعض النفور بين قره يوسف والسلطان أحمد الجلائري، أدت إلى نشوب الحرب بينهما، فوقع السلطان أحمد أسيرًا في معركة قرب تبريز، فاضطر للتنازل عن مملكته إلى الشاه محمد بن قرة يوسف، وكتب بذلك عهدًا على أن يطلق من الأسر، فقتله قره يوسف بعد كتابة العهد(١٠رجب٨١٣هـ/١٤١٠م)، وبمقتله انتهى دور الحكام الجلائريين الرئيسيين، ليبدأ دور الحكام الضعفاء.

دوندي سلطان :

هي مغولية من بنات السلطان حسين الجلايري، ذهبت إلى مصر مع عمها السلطان أحمد، فتزوجها الملك الظاهر برقوق ثم طلقها، فتزوجت ابن عمها شاه ولد ابن الشيخ علي بن أويس، فلما قتل السلطان أحمد سنة

٨١٣هـ أقيم شاه ولد مكانه، إلا أن زوجته ابنة عمه دوندي بنت السلطان حسين قامت بقتله، وحلّت محله على العرش، ولكنها أُجبرت على ترك بغداد حينما حاصرها محمد شاه بن قره يوسف زعيم تركمان الخراف السوداء (القره قوينلو) عامًا كاملًا واستولى على المدينة، فخرجت إلى واسط ومنها إلى تُستر، وحكمت هناك حتى وفاتها سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م وصية على ولديها، الأول محمود بن شاه ولد حتى وفاته سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، والثاني أويس الثاني بن شاه ولد الذي خلف أخاه، ولكنه لم يوفق باسترجاع بغداد، وتوفي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م.

سقوط الدولة الجلائرية :

تولى الشقيق الثالث محمد بن شاه ولد الحكم بعد وفاة أخيه سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، فنقل حكمه إلى الحلة جنوب بغداد، وباستيلاء تركمان الشاة السوداء على الحلة سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م انتهت الدولة الجلائرية .

العلاقات الجلائرية الخارجية :

كان للجلائريين علاقات مع أكثر الدويلات التي نشأت في إيران بعد سقوط الدولة الإيلخانية، وكانت هذه العلاقات في الغالب علاقات عدائية تحكمت فيها رغبة كل دويلة منها في القضاء على الأخريات أو توسيع أملاكها على حساب هذه الدويلات، إضافة لهذه العلاقات العدائية، كانت للجلائريين علاقات مع تركمان القره قوينلو– الخراف السوداء–الذين كانت منازلهم حول بحيرة وان (تقع اليوم في أقصى الحدود الشرقية لتركيا)، وقد حاول هؤلاء بعد سقوط الدولة الإيلخانية أن يوسعوا مساحة المناطق الخاضعة لنفوذهم باتجاه الجنوب نحو أملاك الجلائريين في في والعراق، فاستولوا على الموصل عام ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، ولكن السلطان أويس استرجع

المدينة منهم عام٧٧٢هـ/١٣٧٠م، وفي سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م وصل حسين بن أويس إلى غرب البحيرة، مما اضطر هؤلاء إلى إرضائه بضريبة سنوية قدرها عشرون ألف رأس غنم، واتخذت العلاقات بين الطرفين منحى آخر في عهد السلطان أحمد عند ظهور مطامع تيمورلنگ ورغبته في القضاء عليهما، ولكن حين ابتعد خطر تيمورلنگ عام٨٠٦هـ/١٤٠٤م تمكن" قره يوسف" أمير القرا قوينلو من انتزاع بغداد من أحمد وإجباره على الفرار إلى حلب فدمشق، وعلى الرغم من عودة أحمد إلى حكم بغداد سنة ٨٠٨هـ فإن مطامع قره يوسف بالمدينة دفعته عام٨١٣هـ/١٤١٠م للإغارة عليها ثانية، وتمكن في هذه المرة من اعتقال أحمد وقتله، وإجبار من تبقى من الأسرة الجلائرية على الخروج منها، وكان قد نجح قبلها بالاستيلاء على تبريز.

أما عن علاقة الجلائريين بالدولة المملوكية، فقد سعى حسن بزرگ للاستفادة من موقف العداء التقليدي الذي وقفته الدولة المملوكية من الإيلخانيين الذين كانوا قد استولوا على بغداد، وقضوا على الخلافة العباسية، لذلك فقد بدأ اتصالاته بالسلطان ناصر الدين محمد(٧٠٩-٧٤١هـ) منذ أن دخل حلبة الصراع على السلطة مع الطامعين الآخرين، ودأب على تزويد القاهرة بأخبار انتصاراته وبرغبته في تسليم السلطة في بغداد لأحد أبناء الناصر، إذا قبل الناصر إرساله إليه، ولكن الناصر اعتذر بصغر أعمار أبنائه عن تلبية طلب حسن الكبير. ووقف أويس موقف الحذر من الدولة المملوكية حين أقرّ المظفريون بالتبعية للسلطان المملوكي، ومع ذلك استمرت المبادلات التجارية بين الطرفين كما عادت العلاقات مع القاهرة إلى النشاط في عهد السلطان حسين الذي أرسل وفدًا إلى القاهرة عام٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م لتهنئة السلطان برقوق عند ارتقائه العرش، واتخذ السلطان المملوكي

موقفًا صريحًا بتأييده أحمد الجلائري ضد تيمور عندما استمر يهدد أملاك الجلائريين. ولما كان تيمور يتطلع إلى فتح العالم ويرى نفسه الأحق في وراثة أملاك الدولة الإيلخانية، فبعد أن احتل خراسان أضحت أملاكه على تماس مباشر مع أملاك الجلائريين، وكانت السلطانية أول مدينة استلبها تيمور من أحمد سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، ثم دخل تبريز سنة ٧٨٨هـ وأجبر أحمد على الفرار إلى بغداد، وفي سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م حاصر تيمور بغداد، وأجبر أحمد على الفرار إلى دمشق، وولَّى تيمور حاكمًا من قبله على بغداد، ولكن أحمد نجح باسترجاع عرشه في بغداد بدعم السلطان المملوكي برقوق الذي أمدّه بالمال والعتاد، ولكنه أخفق في استرجاع تبريز سنة ٨٠٠هـ .

ظلَّ تيمور يتوق للانتقام من أحمد، فسيّر حملة جديدة على بغداد بقيادة أحد أحفاده سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، فأسرع أحمد بالفرار إلى حلب، ثم تابع الفرار إلى السلطان العثماني بايزيد الأول في الأناضول. فلما انسحبت الحملة التيمورية بعد حصار شهرين عاد أحمد إلى بغداد، ولكنه أجبر على مبارحتها للمرة الثالثة سنة ٨٠٦هـ فرارًا من حليفه السابق قره يوسف الذي احتل المدينة، وكان مصير أحمد لما بلغ دمشق أن يستقر سجينًا في قلعتها، فلما أغارت حملة تيمورية جديدة على بغداد بعد شهر، فرَّ قره يوسف إلى دمشق، ليلقى مصير خصمه أحمد، ولكن السلطات بدمشق أطلقت سراح الأسيرين عند وصول أخبار وفاة تيمور سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م.

مظاهر الحضارة :

رغم قصر فترة الحكم الجلائري للعراق تميزت بالاستقرار النسبي الذي ساعد في قيام نهضة عمرانية وعلمية وفنية، فقد نشط الحكام الجلائريون وأمراؤهم في العمارة، فبنوا الجوامع والمدارس، ولا تزال بعضها قائمة إلى

اليوم، وازدهرت في عهدهم فنون الرسم والنقش والخط والموسيقى وتجليد الكتب وتذهيبها، ويلاحظ بعض مؤرخي الفنون في الوقت الحاضر بروز المؤثرات الصينية في الفنون الإيرانية، وأن أسلوبًا متميزًا في الرسم قد تطور في تبريز برعاية الأسرة الحاكمة الجلائرية. وشيد في عهدهم الكثير من العمائر المهمة في العراق خصوصًا في بغداد في عهد الوالي "أمين الدين مرجان" حاكم بغداد في فترة السلطانين الشيخ حسن الجلائري ثم ابنه أويس الذي أحد أشد الولاة حبًا للعمارة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، إذ شيّد المدرسة المرجانية وخان مرجان ودار الشفاء في بغداد، على يد واليه على بغداد الأمير مرجان. ولم يقتصر العمران خلال هذه الفترة على بغداد فقط بل تعداها إلى الكوفة وكربلاء والنجف، وينسب للجلائريين بناء بعض المراقد الشيعية، كجامع ومرقد الإمام الحسين بكربلاء، وبناء مئذنة ومدخل مسجد الكوفة القديم الذي هدم سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وأعيد بناؤه مع مئذنة جديدة. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن كثير من المباني الإسلامية التي شيدت في هذا العهد خاصة في بغداد لم يبق أثر منها، ومنها المدرسة المسعودية التي شيدت في زمن السلطان أحمد بن أويس سنة ٧٨٥هـ /١٣٨٣م للمذاهب الفقهية الأربعة.

عاش في العصر الايلخاني عدد كبير من العلماء في مجالات الطب والنبات والفلك والعلوم الطبيعية، وقد أتم "عطا ملك الجويني" كتابه الكبير "تاريخ جهان گشاي"، في تاريخ چنگيز خان وحكام خوارزم والإسماعيلية، كما أكمل "الوصّاف" كتابه القيم المعروف باسم "تاريخ وصاف"، كما ضم هذا العصر شعراء كبار كجلال الدين الرومي وسعدي الشيرازي، والعالم نصير الدين الطوسي الذي شيد مرصداً في مراغة في عهد هولاكو.

الفصل الرابع

الفترة بين العهدين الإيلخاني والتيموري

الفترة بين العهدين الإيلخاني والتيموري

المظفريون :

ينسب آل مظفر إلى الأمير مبارز الدين محمد ابن الأمير شرف الدين بن منصور بن غياث الدين حاجى الخراسانى، وقد تولى الأمير شرف الدين عدة مناصب فى عهد الإيلخانيين، فقد ولّاه السلطان أولجايتو مدينة "ميبد"، ثم توفي شرف الدين بعد أن قضى على المتمردين فى منطقة "شبانكاره"، فاتخذ السلطان أبو سعيد بهادر خان ابنه مبارز الدين محمد، ولم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من عمره مكان أبيه، وولاه مناصبه فى عام ٧١٧هـ /١٣١٧م، ولذا يعد الأمير مبارز الدين محمد أول حكام المظفريين. استقل الأمير مبارز الدين بإقليم فارس عقب سقوط الحكم الإيلخانى، ثم استولى على كرمان عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م، وتطلع لتكوين إمبراطورية واسعة الأرجاء، فضم كثيرًا من المدن الإيرانية إلى دولته، وأعلن ولاءه للخليفة العباسى المعتضد بالله، واتخذ لنفسه لقب "ناصر أمير المؤمنين"؛ ليضفى الشرعية على حكمه، وظل يسعى إلى تحقيق هدفه حتى بات الخليفة ألعوبة فى يده. اعترض آل إينجو بزعامة الشيخ أبى إسحاق طريق آل مبارز فى تحقيق حلمهم، ونشبت الخلافات والصراعات بينهما، وظلت العلاقة بين الطرفين سيئة حتى قتل المظفريون الشيخ أبا إسحاق عقب إحدى المعارك التى دارت بينهما في عام٧٥٨هـ/١٣٥٦م، واستولى شاه شجاع ابن الأمير مبارز الدين على شيراز، فانتقل إليها الأمير مبارز، وأقام بها وأرسل ابنه شاه شجاع إلى حكم كرمان. وفى عام٧٥٨هـ فتح الأمير مبارز الدين منطقة تبريز، ثم لما علم بقدوم الشيخ إدريس الجلائرى إليها، غادرها إلى شيراز، وهناك اصطدم

بولديه شاه شجاع، و شاه محمود، اللذين تحالفا مع شاه سلطان أحد الناقمين على أبيهما، فقبضوا عليه، وأمر ابنه شاه شجاع بسمل عينيه، ثم حبسوه فى إحدى القلاع، والتمس الأب عطف ولديه ، وطلب منهما الصلح، فعفوا عنه، وحكما البلاد نيابة عنه، وضربا السكة باسمه، وظل الوضع على ذلك فترة، ثم أرسلاه للإقامة بقلعة بم بكرمان، ولكن الأمير مبارز الدين كان قد اشتد به المرض ومات فى الطريق قبل أن يصل إلى هذه القلعة في عام ٧٦٥هـ/١٣٦٤م. وظل أبناء مبارز الدين يحكمون من بعده كرمان وفارس وكردستان، فحكم جلال الدين شاه شجاع فى حياة أبيه فى سنة ٧٥٩هـ /١٣٥٧م، وظل فى الحكم حتى سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م، وقضى فترة حكمه في مطاردة المارقين والعصاة والخارجين على الدولة، ثم تولى بعده ابنه مجاهد الدين زين الدين عام٧٨٦-٧٨٩هـ/١٣٨٤-١٣٨٧م، إلى أن عزله الأمير تيمورلنگ، فخلفه شاه يحيى في يزد، وسلطان أحمد فى كرمان. وكان شاه منصور آخر حكام دولة آل المظفر فى أصفهان، وسقطت الدولة المظفرية عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م. وقد اشتهر المظفريون بحبهم للعلم والثقافة طيلة اثنتين وسبعين سنة هى عمر دولتهم من النشأة حتى السقوط. عانت الدولة المظفرية كثيرًا من الصعاب للاحتفاظ بالحكم، فدار صراع بينها وبين آل إينجو بزعامة الشيخ أبى إسحاق، ودخلت حروب عدة مع الدولة الجلائرية، ومع الدولة التيمورية التى اجتاحت ما اعترض سبيلها من الدول والحكام، ولم تستطع دولة آل المظفر الصمود أمام تسلط تيمورلنگ الذى قسم أملاكها بحجة الوصاية التى منحه إياها الأمير مجاهد الدين زين العابدين لرعاية أولاده من بعده، فوضع تيمور النهاية لهذه الدولة عام ٧٩٥هـ/١٣٩٣م بعد أن فرق وحدتها، وقسم أرضها، ثم عمد لإسقاطها.

تميز عهد الأمير مبارز الدين بالنشاط الحضارى والازدهار الفكرى والثقافى، بفضل تشجيعه للعلماء والفقهاء والنابغين، فتعهد علماء شيراز بالرعاية، وبنى في كرمان مسجدًا كبيرًا أوقف عليه الأملاك لرعايته، وضرب السكة فى عهده ونقش عليها اسم الخليفة العباسى رمز المسلمين، وتذكر المصادر الفارسية أن مبارز الدين كان ضيق الصدر، ويعاقب المخطئ بنفسه؛ حتى أُطلِق عليه : الملك المحتسب، وكان شاه شجاع محبا للشعر والشعراء، فازدهر الشعر فى عصره، ونبغ عدد كبير من الشعراء منهم: الشاعر حافظ الشيرازى، وعماد الفقيه الكرمانى .

آل كرت :

استقل ملوك "كرت" ببلادهم استقلالا محدودًا تحت لواء الإيلخانات في إيران، وإن استمروا فى الحكم فترة بعد سقوط الدولة الإيلخانية، وقد استقر ملوك آل كرت فى هراة، و بلخ، وغزنة، وسرخس، ونيسابور، ولم يصلوا إلى ما وصلت إليه الأسر المغولية الأخرى من أهمية فى تاريخ المشرق الإسلامى؛ إذ حكموا الجزء الشرقى لإيران من منتصف القرن السابع الهجرى إلى نهاية القرن الثامن الهجرى، وأزال ملكهم الأمير تيمورلنگ مثلما أزال ملك الأسر المغولية الأخرى. كان شمس الدين الأول محمد، أول ملوك آل كرت، وهو ابن ابنه ركن الدين بن تاج الذى تزوج ابنة السلطان غياث الدين محمود الغورى، الذى عينه حاكمًا على قلعة "خنسيار" تقع بين هراة والغور ، والتى آل أمرها –فيما بعد– إلى الملك شمس الدين. وعندما زحف المغول على العالم الإسلامى رأى الجد ركن الدين بن تاج الدخول تحت لوائهم، ليضمن سلامة ملكه، فتركه المغول، وبعث بحفيده شمس الدين كرت إليهم

ليكون فى خدمتهم، تعبيرًا عن الطاعة والولاء. حكم شمس الدين كرت مناطق كثيرة، منها: هراة، وبلخ، و غزنة، وسرخس، ونيسابور، ووصل بملكه إلى ضفاف سيحون، وسيستان، وكابل حتى نهر السند، وتمكن من الاستقلال بالحكم في سنة ٦٤٨هـ، ومن المؤكد أن شمس الدين لعب دورًا كبيرًا فى حملة هولاكو خان على بلاد طائفة الإسماعيلية، إذ كان أول المشاركين فيها إظهارًا لولائه وطاعته للمغول، وكان له الفضل فى تسليم ناصر الدين محتشم قلعة قهستان إلى المغول. لم تسر سياسة شمس الدين على نهج واحد فى علاقته بالمغول، إذ انحاز إلى براق خان الجغتائى فى هجومه على آباقا خان بن هولاكو للاستيلاء على خراسان التابعة للدولة الإيلخانية، وذلك بعد وفاة هولاكو، وتولى ابنه آباقا خان الحكم خلفًا له، فغضب آباقا خان على شمس الدين لموقفه، وخشى شمس الدين على حياته من غضب آباقا خان وانتقامه. شعر براق خان بقرب نهاية دولته الدولة الجغتائية، فعرض على شمس الدين كرت أن يعرف له أسماء الأغنياء فى خراسان– طمعًا فى مالهم– مقابل أن يحصل شمس الدين على تفويضه فى أملاك الدولة الإيلخانية، فأحس شمس الدين بذكائه قرب زوال ملك الجغتائيين، خاصة أن جيشهم بدت عليه إمارات القسوة والتجبر، فعاد إلى هراة، واعتصم بقلعة خنسيار، وانتظر ما ستسفر عنه الأحداث، ولكنه لم يلبث طويلا وتمكن من النجاة بشفاعة شمس الدين الجوينى(صاحب الديوان) له عند آباقا خان الذى عفا عنه، ومات شمس الدين كرت بتبريز عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، فولَّى آباقا خان ركن الدين بن شمس الدين حكم هراة (٦٧٧–٦٨٢هـ/١٢٧٨–١٢٨٣م). واتخذ هذا الابن لقب أبيه وعرف باسم ركن الدين بن شمس الدين الأصغر. فلما تُوفِّى آباقا خان خشى ركن الدين

على حياته، واعتصم بقلعة خنسيار الحصينة حتى وفاته عام٧٠٥هـ/ ١٣٠٥م، ثم تولى ابنه فخر الدين مكانه من قِبَل غازان خان عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وشغل عهده بالخلاف مع غازان، حتى تُوفِّى سنة ٧٠٦هـ /١٣٠٦م، فعين أولجايتو مكانه أخاه غياث الدين، وظل فى الحكم حتى عام ٧٢٩هـ/١٣٢٨م، فخلفه بالتتابع ولداه شمس الدين الثانى الذى مات سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، والملك حافظ الذى قتل سنة٧٣٢هـ/١٣٣١م، ثم جاء من بعدهما الأخ الثالث معز الدين حسين، وكان من أبرز حكام بنى كرت، فقد قرأت الخطبة باسمه، وأهداه سعد الدين التفتازانى كتابه المشهور فى البلاغة باسم "المطول"، وقد توفى معز الدين حسين سنة٧٧١هـ/١٣٧٠م، وحل مكانه ابنه غياث الدين بير على الذى دعاه تيمورلنگ للاجتماع به، فلما لم يلبِّ دعوته، قاد بنفسه جيشًا تمكن من الاستيلاء على هراة سنة٧٨٣هـ/١٣٨١م، وأسر غياث الدين وابنه بير محمد وأخاه الملك محمد والى سرخس وأركان حكومته، وساقهم إلى سمرقند، ثم أعدمهم فى أواخر سنة ٧٨٤هـ، وبذلك انقرضت أسرة ملوك كرت. كانت إمارة آل كرت إمارة ثرية؛ إذ ضمت إلى حكمها مناطق عدة اشتهرت بثرواتها وخيراتها ومزروعاتها، وسعة أرضها، وعذوبة مائها، وخصوبة تربتها، فاشتهرت هراة ببساتينها الكثيرة، وغزنة بسعة أرضها وخصوبة تربتها ووفرة مائها العذب، وكانت تقع فى أطراف خراسان وتربطها بالهند، أما سرخس فتقع بين مرو ونيسابور وبها خيرات كثيرة، واشتهرت نيسابور إحدى مدن خراسان بالفواكه والثمار، والمعادن الكثيرة وبخاصة الفيروز، كما كانت تزخر بالعلماء الفضلاء، وتعد هذه المدينة عتبة الشرق. والواقع أن تلك البقاع التى شملتها أقاليم آل كرت كانت تفيض بالخير والثراء، فلم يجد الحكام صعوبة فى

توفير احتياجات البلاد، وكذلك لم يكن لهم طموح فى توسيع حدودهم، أو إدخال دولة ما تحت تبعيتهم؛ إذ كانوا أنفسهم تابعين للحكم الإيلخانى المغولى، وحرص الإيلخانيون على ولائهم وكسب ودهم، وبقاء تبعية آل كرت لهم. وقد أدى استقرار الأوضاع الاقتصادية فى دولة آل كرت إلى استقرار الأوضاع السياسية، فشجع الحكام العلماءَ والأدباء، وعمدوا إلى مساعدتهم، فبرز منهم عدد كبير، ومنهم ابن يمين المتوفى عام٧٦٩هـ، وقد مدح بأشعاره آل كرت والسربداريين، وتضمن شعره الحكم والمواعظ، ومما يجدر ذكره أن العالم الجليل والقطب الكبير جلال الدين الرومى، قد وُلد وعاش فى بلخ فى الفترة من٦٠٤هـ إلى٦٧٢هـ، وهو من أكبر شعراء الصوفية الفرس، وصاحب كتاب "مثنوى".

قراقويونلو :

ظهرت جماعة من التركمان أطلقوا على أنفسهم اسم قراقويونلو فى أواخر عهد السلطان أبى سعيد بهادر خان آخر حكام الدولة الإيلخانية– فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجري(النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى) فى الشمال الغربى لآسيا جنوبى بحيرة "وان". ومما لاشك فيه أن هذه الجماعة قد استفادت استفادة كبيرة من الضعف الذى منيت به الدولة الإيلخانية فى عهد خلفاء السلطان أبى سعيد بهادر خان، ودخلوا فى صراع مع التيموريين، واعتنقوا المذهب الشيعى، ويرجع نسب أمرائهم إلى الأمير محمد تورمش ابن بيرام خواجة. استطاع الأمير أبو نصر قرا يوسف نويان بن محمد أول أمراء قراقويونلو أن يقود كتائبهم المنتشرة بالأقاليم المجاورة لأرمينيا وآذربايجان، ويستولى على تبريز، ويجعلها عاصمة لإمارته

، ثم اصطدم بأحمد بن أويس الجلائرى فى عام ٨١٣هـ/١٤١٠م، وتمكن منه وقتله، ومد سلطانه وسيطرته أذربايجان. ولما غزا تيمور بلاد قرا يوسف فى عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م، سلبه ملكه، ولكنه استعاد ما سلب منه في عام٨٠٨هـ/١٤٠٥م، ونادى بابنه بيربوداق أميرًا على آذربايجان سنة ٨١٠هـ /١٤٠٧م، فاستطاع أن يتخلص من قرا عثمان رئيس آق قويونلو فى ديار بكر، ويحقق لقبيلته كثيرًا من الانتصارات والفتوح من ناحية الغرب، ثم توجه إلى الشرق لصد القوات التيمورية بقيادة شاه رخ، ولكنه توفى فجأة فى الطريق بآذربايجان، وكذلك توفى والده قرا يوسف فى الوقت نفسه، فتولى الأمير إسكندر بن قرا يوسف الحكم فى عام٨٢٣هـ/١٤٢٠م، واستمر حتى عام٨٤١هـ/١٤٣٧م. وفى أثناء هذه الفترة وقعت أحداث كثيرة، فهاجم شاه رخ الذى كان يحكم القسم الشرقى لإيران الأمير إسكندر بن قرا يوسف، وألحق به الهزيمة فى تبريز، وطرده من أرمينية فى عام٨٢٤هـ/١٤٢١م، ولكن الأوضاع الداخلية للدولة التيمورية أجبرت الأمير شاهرخ على العودة إلى خراسان، مما أتاح الفرصة للأمير إسكندر للعودة إلى إمارته واسترداد ملكه، وتحقيق انتصارات متتالية فى أرمينية وأران، وبلاد الأكراد. واستمر الصراع بينهما حتى قتل الأمير إسكندر سنة ٨٤١هـ فتولى أخوه الأمير جهانشاه زعامة أمراء قراقويونلو، واصطدم بالتيموريين وهزم الميرزا علاء الدولة التيمورى واستولى منه على خراسان، وفى الوقت نفسه تمرد ابن جهانشاه عليه فى آذربايجان، فاضطر إلى مصالحة التيموريين ثانية، وأعاد إليهم خراسان، ثم عاد إلى تبريز عاصمته ليتمكن من مواجهة ابنه والقضاء على تمرده، فخرج عليه حسن بيك أحد أفراد قبيلة آق قويونلو، وقتله فى سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م. كان الأمير حسن على هو آخر أمراء هذه الدولة، وهو

ابن الأمير جهانشاه الذى اعتقله في باكو نحو خمسة وعشرين عامًا؛ فلما ولى الأمير حسن الحكم، لقى هزيمة منكرة على أيدى قبيلة آق قيونلو بزعامة أوزون حسن في عام ٨٧٣هـ/١٤٩٥م، وسقطت أسرة قراقويونلو، فكانت النهاية. لم تتح الحروب والمعارك العسكرية فرصة كافية أمام أمراء قراقويونلو للاهتمام بمظاهر الحضارة، فقد عاشت دولتهم فى صراعات متواصلة من أجل الحفاظ على حدودها من الجلائريين والتيموريين، ولكن ذلك لم يمنع الأمير جهانشاه من الاهتمام بالأدب والشعر ، إذ كان هو نفسه ينظم الشعر، وكان محبا له. وقد شيد جهانشاه مسجدًا يعد تحفة فنية فى عمارته، وهو المسجد الأزرق الذى يمثل العمارة الإسلامية فى هذه المنطقة. لم يمنح التيموريون أيا من أمراء قراقويونلو فرصة الاتجاه نحو الاهتمام بمظاهر الحضارة، لأنهم كانوا يحطمون كل شيء ويقضون على الأخضر واليابس فى غزوهم الشامل على مناطق نفوذ أمراء قراقويونلو، لذا لم يهتم هؤلاء الأمراء بمظاهر الحضارة، وصرفوا جهودهم إلى النشاط الحربى[١].

[1] https://shamela.ws/book/36578/2827#p1

الفصل الرابع

التيموريون

تيمورلنگ

هو قائد مغولي أوزبكي من القرن الرابع عشر الميلادي، ومؤسس الإمبراطورية التيمورية(١٣٧٠–١٤٠٥م) في وسط آسيا، وأول الحكام في العائلة التيمورية الحاكمة، والتي استمرت حتى عام ١٥٠٦م. كان تيمورلنگ قائدًا عسكريًا فذًا قام بحملات توسعية شرسة أدّت لمقتل العديد من المدنيين، وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها. وكان يدعي الإسلام، ويبدي كثيرًا من التقديس لآل النبي صلى الله عليه وسلم، واهتم بجمع العلماء الصناع المهرة من البلاد التي يغزوها إلى عاصمته سمرقند .

نشأة تيمورلنگ :

ولد تيمور في ٢٥شعبان٧٣٦هـ/٨ أبريل ١٣٣٦م في إحدى قرى مدينة "كش"، وهي اليوم مدينة "شهر سبز"–المدينة الخضراء–، وتقع جنوبي سمرقند في أوزبكستان. وعاش تيمور أيام صباه بين أفراد قبيلة" البرلاس" الأوزبكية أقرباء أجداده، وأتقن فنون الحرب الشائعة عند القبائل الصحراوية من الصيد والفروسية ورمي السهام، حتى غدا فارسًا ماهرًا، متقنًا لرمي السهام. سرق تيمور ذات ليلة غنمة وحملها ليهرب بها، فانتبه الراعي وضربه بسهم فأصاب كتفه، ثم ردفه بآخر فلم يصبه، ثم بآخر فأصاب فخذه حتى عرج منه؛ ولهذا سمي تيمورلنگ، وقيل نتيجة لإصابته بجرح خلال إحدى معاركه، و"لنگ" بالفارسية "أعرج"، أما كلمة تيمور فتعني بالتركية والمنغولية "الحديد". عتنق تيمورلنگ الإسلام على يد السيد بركة عندما التقى

به في بلدة بلخ، وكان لبركة دوراً هاماً (في الفترات اللاحقة) في تشجيع تيمورلنگ على غزواته وبخاصة مع توقتمش خان .

جهود تيمورلنگ لإعادة مجد دولة المغول :

عندما تُوفِّي "كازغان" آخر إيلخانات تركستان سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م قام "تغلق تيمور" صاحب "كاشغر" بغزو بلاد ما وراء النهر ، وجعل ابنه" إلياس خواجه" قائدًا للحملة، وأرسل معه تيمور وزيرًا، ثم حدث أن ساءت العلاقة بين الرجلين؛ ففرَّ تيمور، وانضم إلى الأمير حسين حفيد كازغان آخر إيلخانات تركستان، وتقرب إليه. ولا زال يترقى بعد ذلك من وظيفة إلى أخرى حتى عظم وصار من جملة الأمراء. وتزوج بأخت السلطان حسين، ونجح الاثنان في جمع جيش لمحاربة إلياس خواجه، لكنهما لم ينجحا في تحقيق النصر، وفرَّا إلى خراسان، وانضما إلى خدمة الملك "معز الدين حسين كرت"، ولمَّا علم الأمير تغلق تيمور بوجودهما بعث إلى معز الدين بتسليمهما له، غير أن تيمور وصاحبه هربا إلى قندهار ومنها إلى سيستان، فاحتال واليها وهاجمهما. ثم عاود الاثنان جمع الأتباع والأنصار، ونجحا في مهاجمة إلياس خواجه، وتمكنا من السيطرة على بلاد ما وراء النهر عام٧٦٦هـ/١٣٦٤م، ولم يلبث أن وقع الخلاف بين تيمور وصهره، فقتل تيمور زوجته(أخت السلطان)، وانتصر على السلطان بالحيلة، ودخل سمرقند (١٢رمضان٧٧١هـ/١٤ أبريل١٣٧٠م)، وأعلن نفسه حاكمًا عليها، وزعم أنه من نسل جغتاي بن چنگيز خان، ويسعى لإعادة مجد دولة المغول، وكوَّن مجلس شورى من كبار الأمراء والعلماء .

تطلعات تيمورلنگ التوسعية :

قام تيمور بتنظيم جيش ضخم معظمه من الأتراك، وبدأ يتطلع إلى بسط نفوذه، فاتجه إلى خوارزم، وغزاها أربع مرات(٧٧٣-٧٨١هـ/١٣٧٢-١٣٧٩م)، نجح في المرة الأخيرة في الاستيلاء عليها وضمها إلى بلاده، بعد أن أصابها الخراب والتدمير من جراء الهجوم المتواصل عليها، وفي أثناء هذه المدة نجح في السيطرة على صحراء القفجاق، والتي تمتد بين سيحون وبحيرة خوارزم وبحر الخزر(بحر قزوين). ولَمَّا اضطربت أوضاع خراسان عام٧٨٢هـ/١٣٨٠م بعث ابنه ميرانشاه، وكان في الرابعة عشرة من عمره، فنجح في السيطرة على إقليم خراسان كله، وأفغانستان، ثم اتجه عام٧٨٧هـ /١٣٨٥م إلى مازندران، فاستسلمت دون قتال، ثم انطلقت جيوش تيمورلنگ تفتح في، وتستولي على إقليم فارس، وتُغِير على أصفهان التي كانت قد ثارت على نوابه، وبلغ عدد القتلى فيها سبعين ألفًا، أقام تيمور عدة مآذن من جماجمهم. وفي عام ٧٩٠هـ/١٣٨٨م هاجم "توقتمش" ملك بلاد القبجاق بلاد ما وراء النهر، وحرّض أهالي آذربايجان على الثورة ضد تيمورلنگ، وأعلنوا ولاءهم لتوقتمش، ونتيجة لتفاقم هذه الأحداث توقف تيمورلنگ عن التوسع، واتجه إلى آذربايجان لقمع الثورة، وما كاد يصلها حتى فرَّ توقتمش، ودخل تيمور خوارزم، وأحلَّ بها الخراب والتدمير إلى الحد الذي لم يعد فيها حائط يُستراح تحت ظله، وظلت خرابًا خالية من السكان حتى أمر تيمور بإعادة تعميرها سنة٧٩٣هـ/١٣٩١م. ولَمَّا كرَّر توقتمش هجومه مرة أخرى على بلاد ما وراء النهر في عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م تعقَّبه تيمور حتى أرض المغول وصحراء القبجاق وهزمه هزيمة منكرة .

فتوحات تيمورلنگ في مناطق من آسيا والقوقاز:

بعد عودة تيمور ظافرًا من صحراء القبجاق سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، وقد تخلص من توقتمش، أناب ابنه "ميرانشاه" في حكم خراسان، وحفيده "بير محمد" في حكم غزنة وكابل، وقصد إيران في رمضان٧٩٤هـ /أغسطس ١٣٩٢م؛ لإخماد الثورات التي شبَّت بها، وظل هناك خمس سنوات مشغولاً بقمع تلك الثورات. وتُسمَّى حروبه هذه بـ"هجوم السنين الخمس"، وبدأ حروبه بإخضاع "جرجان" و"مازندان"، ثم اتجه إلى العراق فخرب" واسط "والبصرة وبغداد والكوفة، وغيرهم، وواصل سيره فخرب ديار بكر وأرمينيا والكرج (جورجيا)، وأراد مهاجمة الشام عام٧٩٨هـ، فعلم أن سلطان المماليك الظاهر برقوق قد خرج بجيش كبير من مصر، فرجع لبلاده، ولمَّا سمع بهجوم توقتمش على بلاده، أسرع إليه، وهاجم بلاده وأنزل به هزيمة كبيرة، وبعد ذلك زحف في نحو مائة ألف جندي، واحتل موسكو لمدة عام واحد .

غزو الهند :

كان تيمور قد بلغ الستين عاماً، لكن هذا لم يوهن من عزيمته في مواصلة الغزو، ولم يركن للراحة والخلود بما حققه من قوة ونفوذ، والتمتع بمباهج الجاه والسلطة. فلما سمع بموت فيروزشاه ملك الهند عزم على غزوها متذرِّعًا بأن التغلقيين يتساهلون مع الهندوس في أمر الإسلام، وانقضَّ بجيشه الجرار على قوات محمود تغلق في٧ربيع الآخر ٨٠١هـ/١٧من ديسمبر١٣٩٧م، وأنزل به هزيمة ساحقة، واحتل" دلهي "عاصمة دولة "آل تغلق"، وقام بتدميرها وتخريبها، وبلغ من بشاعة التدمير أنها لم تنهض مما

حلَّ بها إلا بعد قرن ونصف القرن من الزمان. وعاد تيمور إلى سمرقند محمَّلاً بغنائم وفيرة، ومعه سبعون فيلاً تحمل الأحجار والرخام التي أحضرها من دلهي، ليبني بها مسجدًا بسمرقند. وفي تلك الأثناء سمع تيمور بموت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، وموت القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس من بلاد الروم، فرأى أنه بعد موتهما ظفر بمملكتيهما، وكاد أن يطير بموتهما فرحاً، وعاد إلى بلاده فوراً تاركاً فوضى عظيمة .

لم يمكث تيمورلنگ طويلاً في سمرقند بعد عودته الظافرة من الهند، واستعد للخروج ومواصلة الغزو، وانطلق في حملة كبيرة سُميت بحملة السنوات السبع(٨٠٢-٨٠٧هـ/١٣٩٩-١٤٠٤م) لمعاقبة المماليك لمساعدتهم أحمد الجلائري خان بغداد في حربه ضد تيمور، وتأديب السلطان العثماني "بايزيد الأول "سلطان الدولة العثمانية الذي كان يحكم شرق آسيا الصغرى .

غزو أرمينيا وآذربايجان وبلاد الشام وبغداد :

بدأ تيمور تيمورلنگ غزواته باكتساح قراباغ بين أرمينيا وفي فقتل وسبى ثم توجه إلى تفليس عاصمة الكرج بالقوقاز ونهبها في جمادى الآخرة سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، ثم توجه إلى سيواس في٥ محرم سنة٨٠٣هـ، وقبض على مقاتليها وهم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سردابًا، وألقاهم فيه وطمهم بالتراب، ثم وضع السيف في أهل البلد وأخربها حتى محا رسومها. ثم سار تيمور إلى "عينتاب" ففتحها، واتجه إلى حلب، فسقطت بسبب رفض مماليك مصر مساعدة أهل الشام نتيجة صراعهم على الحكم. وبلغ عدد القتلى فيها عشرين ألفاً والأسرى أكثر من ثلاثمائة ألف. وبعد عمليات النهب والحرق

والسبي والتخريب التي قام بها تيمور وجيشه اتجه إلى حماة والسلمية، ولم يكن حظهما بأحسن حال من حلب، وواصل زحفه إلى دمشق التي بذل أهلها جهودًا مستميتة في الدفاع عنها، لكن ذلك لم يكن كافياً لمواجهة جيش جرار يقوده قائد محنك، فاضطروا إلى تسليم دمشق، ولمَّا دخل تيمورلنگ المدينة أشعل فيها النار ثلاثة أيام حتى أتت على ما فيها، وأصبحت أطلالاً ، وبعد أن أقام بها ثمانين يوماً، رحل عنها مصطحبًا أفضل علمائها وأمهر صُناعها، واتجه إلى طرابلس وبعلبك فدمرهما. وعند مروره بحلب أحرقها مرة ثانية وهدم أبراجها وقلعتها، ودمر ماردين، ثم اتجه إلى بغداد، وكانت تحت حكم الدولة الجلائرية؛ فهاجمها بشدة، ودمر أسوارها، وأحرق بيوتها، وأوقع القتل بعشرات الآلاف من أهلها، ولم تستطع المدينة المنكوبة المقاومة فسقطت تحت وطأة الهجوم الكاسح في أيدي تيمورلنگ. وألزم كل من معه أن يأتيه كل واحد منهم برأسين من رؤوس أهل بغداد، فبلغ تعداد من قتل في هذا اليوم من أهل بغداد قرابة مائة ألف إنسان، عدا من قتل في أيام الحصار، ومن قتل في يوم دخول تيمور لبغداد ، ومن ألقى نفسه في نهر دجلة فغرق، وهو أكثر من ذلك. حاصر تيمورلنگ قلعة دمشق التي رفضت حاميتها الاستسلام بعد سقوط المدينة، واستمر الحصار لأكثر من شهر، تعرضت القلعة خلالها للقصف بالمنجنيقات حتى انهار برجها الشمالي الغربي، وأُعدمت حامية القلعة، وفرض تيمور على أهالي دمشق غرامات كبيرة لم يتمكنوا من دفعها، فبدأ جيشه بتدمير المدينة وإحراقها، بشكل لم تشهده المدينة من قبل. جمع تيمور الأهالي في الجامع الأموي ثم أقفله وأمر بإحراقه. يُعتقد أن عشرات الآلاف من أهالي دمشق ذبحوا خلال الأيام التي تلت سقوط القلعة، ودمرت المدارس والمكتبات من العهدين الزنكي والأيوبي،

وسيق أمهر الحرفيين والمعماريين أسرى إلى عاصمته سمرقند، فكانت كارثة لم تتعافَ منها المدينة قط .

معركة أنقرة ١٤٠٢م وأسر السلطان بايزيد الأول :

لم تُشبِع تلك الانتصارات طموح تيمورلنگ الجامح وإسرافه في الغزو وشغفه بفتح البلاد والمدن، فانطلق في سنة٨٠٤هـ/١٤٠٢م نحو آسيا الصغرى فاحتل "سيواس" في الأناضول، وأباد حاميتها التى كان يقودها أرطغرل بن السلطان بايزيد، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ الفرسان وأحنى رؤسهم بين أرجلهم وألقاهم فى خنادق واسعة وردمهم بالتراب، واصطدم بالدولة العثمانية الفتيَّة .

تعد معركة أنقرة أكبر معركة حدثت في ذالك القرن من الزمان من حيث حجم الجيشين والنتائج، ووقعت بين تيمورلنگ، والسلطان العثماني بايزيد الأول وأدت، لأول مرة في التاريخ العثماني، إلى أسر السلطان وموته. حشد بايزيد الأول جيوشه من المسلمين الترك والنصارى الصرب وطوائف التتر في مدينة بورصة عاصمة آسيا الوسطى، فلما تكامل جيشه سار لحربه، فأرسل تيمور جواسيسه قبل وصوله إلى التتار الذين مع بايزيد الأول يقول لهم: نحن جنس واحد، وهؤلاء تركمان ندفعهم من بيننا، ويكون لكم الروم عوضهم، فانخدعوا له ووعدوه باتخاذ صفه عند اللقاء طمعا في المكافأة، وسار بايزيد الأول بعساكره لعله يلقى تيمور خارج سيواس تاركًا معسكره الحصين بالقرب من أنقره، يريد أن يرد تيمورلنگ عن عبور أراضي دولته، كان بايزيد الأول لا يطيق أن يترك تيمورلنگ يسير في أراضي دولته، ويتركه يعلن السلب والنهب في مدنه .

استصوب بايزيد رفع الحصار عن القسطنطينية، واستعد لملاقاة هذا الطاغية الذي تقدم بجيش جرار قوامه٣٠٠ ألف جندي–تذكر بعض الروايات أنها بلغت ٨٠٠.٠٠٠ مقاتل– هذا بالإضافة إلى وجود آلاف من التتر فى جيش بايزيد الأول المندسين، وكان ولاءهم لتيمورلنگ، وكان جيش السلطان بايزيد حوالى ١٢٠.٠٠٠ مقاتل، وكان من قادته ٥ من أولاد السلطان بايزيد ، هم: محمد، مصطفى، سليمان، عيسى، موسى، والتقى الجيشان في معركة هائلة في سهل أنقرة عُرفت باسم "معركة أنقرة" في١٩ ذي الحجة ٨٠٤هـ/٢٠ يوليو١٤٠٢م، وعندما التقى الجيشان دخل الرعب الى قلوب جنود السلطان بايزيد من هول ما رأوه من عدد جنود تيمورلنگ بالإضافة إلى ما سمعوه عن معاملته الوحشية لأسرى الحرب، ومما زاد بلائهم أن الجنود التتر الموجودين فى صفوفهم انضموا لصفوف تيمورلنگ، وكانوا ٥٠.٠٠٠ خمسين ألفا، فكان مصير المعركة محدد سابقًا، وبدأت معركة شرسة ضارية تشبه فى شدتها وضراوتها حروب هذا العصر، لكن باختلاف نوع الأسلحة المستخدمة، وانهزم جيش بايزيد هزيمة ساحقة، وبدأ الجنود فى الإنسحاب، أما بايزيد الأول لم ييأس وهو الذى تعود على النصر وهو الذى عُرف بالشجاعة والإقدام، فأخذ مجموعة من الفرسان من خواص رجاله، وصعدوا على ربوة عالية ليكونوا فى موقع جيد للقتال ولكن قدر الله أن يقع السلطان بايزيد فى الأسر، وقع في الأسر هو وأحد أبنائه، واختلفت الروايات فى كيفية معاملة تيمورلنگ للسلطان المجاهد العظيم بايزيد الأول، فمنهم من قال أنه أهانه ووضعه فى قفص وأخذ يطوف به البلاد. ولم يتحمل السلطان العثماني ذل الأسر فمات كمدًا في١٥شعبان٨٠٥هـ/١٠مارس ١٤٠٣م، بمدينة"أمد شهر"، حيث كان تيمور عائدًا بأسراه لعاصمته سمرقند.

لم يكد تيمورلنگ يستقر في سمرقند، حتى أعد العدة لغزو الصين في خريف٨٠٧هـ/١٤٠٤م، وكان الجو شديد البرودة حين خرج لغزوته الأخيرة، وعانى جيشه قسوة البرد والثلج، ولم تتحمل صحته ذلك الجو القارص، فأصيب بالحمى التي أودت بحياته(١٧شعبان ٨٠٧هـ/١٨فبراير١٤٠٥م)، بعد أن دانت له البلاد من دلهي إلى دمشق، ومن بحيرة آرال إلى الخليج العربي، وبعد وفاته نقل جثمانه إلى سمرقند حيث دفن هناك في قبره المعروف بـ"كور أمير"،–مقبرة الأمير– وخلفه على العرش حفيده وابن أخته، وكان ابنه الرابع "شاهرخ" في هراة، فنجح في السيطرة على هراة وخراسان وما وراء النهر بعد منازعات وحروب عائلية استمرت سنة تقريباً، وسيطر ابنه الثالث ميرانشاه على الجزء الغربي من إيران بما في ذلك تبريز وبغداد. في عام ٨١١هـ/١٤٠٨م استفادت قبائل قرا قويونلو (ذات الخراف السوداء) من خلافات الأسرة التيمورية، فاستولت على في، وفي عام٨١٣هـ/١٤١٠م استولى شيخها "قره يوسف" على بغداد، وتمكن ابنه بعد ذلك بسنوات من السيطرة على إقليم أصفهان، وظل حكام قرا قويونلو يحكمون لعام٨٧٤هـ /١٤٦٩م إلى أن هزمتهم قبائل"آق قويونلو". حكم شاهرخ في الشرق من عاصمته "هراة" جميع أجزاء القسم الشرقي من إيران حتى عام٨٥١هـ /١٤٤٧م، وهزم قبائل "قره قويونلو" في تبريز، وطردهم إلى أرمينيا، ولكنه اضطر إلى تركهم يحكمون الإقليم الغربي من إيران. كان شاهرخ من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة، وقد جعل "هراة" المركز الثقافي لوسط آسيا، وازداد الرخاء في ظل حكمه، وارتفعت مكانة المهندسين المعماريين والرسامين والشعراء والعلماء والموسيقيين، فانتشرت الحركات الفنية والأدبية التي ظهرت في هذا العصر، وامتدت غرباً وبلغت ذروتها أصفهان. خلف

شاهرخ ابنه الأكبر "الغ بيك" وكان حكمه قصيراً(٨٥١هـ/١٤٤٧م/٨٥٣هـ /١٤٤٩م)، وقد اهتم بالأدب وعلم الفلك فبنى مرصداً بسمرقند لا يزال قائمًا. انتهى أمر"الغ بيك" بالعزل ثم القتل بتحريض من ابنه، فعمت الفوضى البلاد بضع سنوات، حتى سيطر "حسين ميرزا بايقرا" على خرسان عام٨٧٤ هـ/١٤٦٩م، فاستقرت الأوضاع، وامتلأت هراة وخرسان برجال العلم والفن والأدب، وبعد وفاة "حسين ميرزا بايقرا"(٩١٢هـ/١٥٠٦م) سقط الجزء الشرقي من الدولة التيمورية في أيدي قوم رحّل من التتار أصلهم من الجنس المغولي، واستمرت دولتهم ترعى الفنون ببخارى وسمرقند، ولكنها سرعان ما انتهت تحت قوة الصفويين .

الحياة الحضارية في عهد الدولة التيمورية

أولًا: الحياة الفكرية في الدولة التيمورية:

كان تيمورلنگ(٧٧١-٨٠٧هـ/١٣٧٠- ١٤٠٥م) رجلًا واسع المعرفة، يتقن الحديث بلغات ثلاث (التركية، والفارسية، والمغولية)، محبًا للأطباء والفلكيين، والفقهاء، وقد جمع الفنيين وأصحاب الحرف من كل أطراف الدنيا فى عاصمته سمرقند، وكانت حياة المحاربين وأخبار الحروب وتواريخها من أحب المعارف التى يسعى إلى معرفتها، والقراءة فى الكتب التى تناولتها .

هراة المركز الفكري والثقافي :

لم يشهد العهد التيمورى ازدهارًا فى مناحي الحياة كافة مثلما حدث فى عصر شاهرخ (٨٠٧-٨٥٠هـ/١٤٠٥-١٤٤٧م)؛ الذى يعد من أكثر حكام "إيران" ثقافة وذكاءً ومعرفة. وقد تركزت الحياة الفكرية في هراة في عهد

شاهرخ، فقد جعل من "هراة" مركزًا ثقافيًا لأواسط آسيا، وفي سمرقند في ظل ولده أولغ بك. وساعد على هذا النشاط أن كلا الحاكمين كان مثقفًا، فكان شاهرخ شاعرًا، ومارس ابنه البحث العلمي بنفسه، فضلًا عن أن كلًا منهما حكم مدة طويلة، والتفّت حولهما حاشية مثقفة نشيطة، وبفضل أعمال شاهرخ تحولت مدينة هراة إلى مركز نهضة فكرية للحضارة الفارسية الإسلامية في موقع متقدم في قلب آسيا، فأسس فيها مكتبة، وأرسل يجمع لها الكتب، وعاش في كنفه عدد من الشعراء والعلماء منهم الشاعر "سيدي أحمد بن ميرانشاه (حفيد تيمور) الذي نظم له مصنفًا شعريًا بالفارسية دعاه "تعشق نامه" سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٦م)، ومنهم المؤرخ "حافظ آبرد"(ت٨٢٢هـ/ ١٤١٩م) والذي كتب بتشجيع من شاهرخ نفسه كتابه التاريخي الموسوعي "مجمع التواريخ"، وكان من ندمائه "شرف الدين علي يزدي"(ت٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) مؤلف كتاب "ظفر نامة" الذي يعد أوسع مؤلف عن تاريخ تيمور.

سمرقند مركز إشعاع حضاري:

أما في سمرقند فقد شغل المفكرون بالموازنة بين الثقافتين الفارسية القديمة والتركية الناشئة، وقد حرص أولغ بك(٨٥٠-٨٥٣هـ/١٤٤٧م-١٤٤٩م) خلال مدة حكمه القصيرة على رعاية الفنون والآداب الفارسية، وعلى الرغم من أن ألغ بك كان يعتز بتركيته، فقد أخذ من الثقافة الفارسية أكثر مما أخذ جده تيمور. وكانت مناقشاته مع العلماء باللغة الفارسية، وصرف أولغ بيك جهده للاهتمام بالعلوم ذات الصفة العالمية التي تؤدي إلى رقي الإنسانية وإغناء الفكر البشري. أسس ألغ بك مدرستين في بخارى وسمرقند، وكتب على باب مدرسة بخارى "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

ودُرّسَت في هاتين المدرستين علوم الدين والهيئة (الفلك)، ووفد إليها من إيران العلماء والطلاب للتدريس والدراسة، ودفع ألغ بك ولعُه بعلم الفلك إلى بناء مرصد شمال سمرقند عام٨٢٥هـ/١٤٢٢م، ظلت آثاره ماثلة للعيان حتى وقت قريب، وشارك بنفسه العلماء والطلاب في البحث في هذا العلم.
ووضعت في عهده جداول الأزياج، وفهارس الكواكب؛ وحصيلة ما توصل إليه علم الفلك في عصره، قبل اختراع المنظار الفلكي، وقد طبعت جداول ألغ بك الفلكية في إنجلترا سنة ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م، وتداولها الناس في أوربا حتى آخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد توقف النشاط الحضاري في سمرقند لاضطراب الحالة السياسية فيها بعد وفاة ألغ بك، وبجدَّة النزاع بين أولاد أبي سعيد بن محمد بن ميران شاه(٨٥٥-٨٧٣هـ/١٤٥١- ١٤٦٩م).
ولكن هذا النشاط عاد ثانية إلى هراة في زمن السلطان حسين بايقرا (٨٧٣ -٩١١هـ/١٤٦٩-١٥٠٦م)، حيث أسس مكتبة، وبنى مدرسة كبيرة، وتميّز النشاط الفكري في عصره بازدهار قرض الشعر بالتركية الجغتائية، على الرغم من قلة العنصر التركي في التركيب الشعبي المحلي، وكان من طلائع شعراء التركية الجغتائية "مير علي شيرنوائي" الذي استدعاه السلطان حسين من سمرقند، إذ كانا زميلي دراسة، وكلّفه مهمة حامل الأختام، وكان ينادى بالوزير، ونظم شيرنوائي أشعارًا وفق نظام "المثنوي" المعروف، في الأدب الفارسي، ووضع مؤلفات بالتركية في التاريخ والأدب، وترجم لغيره من الشعراء الأتراك، وتعدُّ كتاباته اليوم من الأدب التراثي في التركية الجغتائية.
ويعد "شمس الدين محمد حافظ الشيرازى" ألمع شخصية أدبية عرفها العصر التيمورى، ويمثل شعره ازدهارًا للحركة الثقافية فى هذا العصر، وقد توفي عام(٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، وكان من أصدقاء شيرنوائي الشاعر الفارسي عبد

الرحمن جامي(ت٨٩٨هـ/١٤٩٣م) من أبرز العلماء والشعراء في هذا العصر، إذ ألف ستة وأربعين كتابًا فى مختلف فروع العلم، ووضع كتبًا كثيرة في الفارسية والعربية، تناولت النحو العربي والتفسير والتصوف والشعر، ثم يأتى "نظام الدين الشامى"، صاحب كتاب "ظفرنامه"، الذى يعد سجلًا لفتوحات "تيمورلنگ". وعاش في بلاط السلطان حسين المؤرخان الفارسيان ميرخواند (ت ٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وحفيده خواندمير (ت ٩٢٤هـ/١٥١٨م).

ثانيًا: العمران في عهد الدولة التيمورية :

مدرسة بيبي خاتون :

شيد "تيمورلنگ" حضارة عظيمة فى بلاده، وأقام بها المنشآت الشامخة، ولعل المدرسة الدينية الكبيرة التى بناها لزوجته الصينية "بيبى خاتون" خير دليل على عظمة حضارة "الدولة التيمورية" فى عهده، فهى تحفة فنية مكونة من أربعة إيوانات، وفى وسطها فناء واسع، تحيط به عقود ذات قباب، على رأس كل منها منارة، وتعد المقبرة التى بناها لنفسه آية من آيات البناء، ومثالا لسمات المعمار فى العصر التيمورى.

مسجد جوهر شاد :

استمر نشاط حركة البناء في عهد شاهرخ بإشراف زوجته "جوهر شاد" التي أمرت، بإشراف المهندس قوام الدين الشيرازي، ببناء مسجد على قبر الإمام علي الرضا في مدينة مشهد. وزُيِّنت جدران المسجد بزخارف الفسيفساء والقاشاني البرّاقة، ومن هنا يعد مسجد "جوهر شاد" بمدينة مشهد من أبرز إنجازات هذا العصر، وظل العمل فى بنائه اثنى عشر عامًا فى

الفترة (٨٠٨-٨٢٠هـ/١٤٠٥-١٤١٧م). كما شيدت "جوهر شاد" مدرسة كبيرة وجامعًا، بُني في كل زاوية من زواياه الأربع مئذنة، كما أقامت مدفنًا لها في هراة. وأما ألغ بك، فكان ما أشاده من أبنية يحاكي أبنية جده، ولكن يتميز منه في المتانة، ودقة الأبعاد، وروعة المنظر، ويرجع إلى عهده بناء عدد كبير من المساجد والربط، وأهم مبانيه مدرستاه في بخارى وسمرقند، كما بنى المعمارى "قوام الدين الشيرازى" مدرسة كبيرة -بتكليف من شاهرخ- بمنطقة "خركرد" التى تقع إلى الغرب من"هراة"، وتقع حاليًا فى شرقى "إيران".

ثالثًا: النهضة الفنية في الدولة التيمورية :

أسهم تيمورلنگ في النهضة الفنية التي تابعت ازدهارها في عهود أبنائه. فكان قد استقدم معه إلى بلاده -في الحروب التي خاضها- أعدادًا كبيرة من أرباب الحرف والفنون والهندسة والعمارة، من دمشق وبغداد وخوارزم، وحملت جيوشه الحجارة والأعمدة والرخام من بقايا الأبنية التي هدّمت، واتضحت منذ ذلك الوقت خصائص المدرسة التيمورية في البناء، التي تظهر في ضخامة الأبنية وارتفاعها؛ لإظهار عظمة الدولة، وتقليد الأساليب الفارسية، واقتباس الزخارف الصينية، وأخيرًا في تقليد مخيمات الأتراك في بناء القصور، واستخدام الألوان المتعددة الصارخة التي تستهوي عادة الشعوب البدوية في تزيين الأبنية من الداخل والخارج.

وارتقى في عهد التيموريين **فنا الرسم والتخطيط.** فقد احتاج شاهرخ لعدد من النُسَّاخ لمكتبته في هراة، فأسس ابنه باي سنقر في العاصمة معهدًا لفنون

الكتاب، كان يعمل فيه أربعون فنانًا بين ناسخ ومصور ومجلد ومذهِّب، وغدا فن المنمنمات وما يلحق به من الميزات الفنية في عصر التيموريين .

وأضحى **فن التخطيط** أيضًا من سمات المدرسة الفنية التيمورية في هراة. واشتهر من الخطاطين جعفر التبريزي الذي عمل في معهد باي سنقر الفني. وابتكر الخطاط مير علي التبريزي، الذي عاش في عصر السلطان حسين، أسلوبًا جديدًا في الخط العربي هو أسلوب "النستعليق" الذي جمع بين أسلوبي"النسخ" والتعليق"، وبلغ خط "النستعليق" غاية الإتقان على يد الخطاط سلطان علي المشهدي(٩١٩هـ/١٥١٣م).

أما **فن التصوير** فقد حقق رقيًا أكبر في هراة في أيام السلطان حسين بايقرا ووزيره مير علي شرنوائي، وازدهر التصوير في الوقت نفسه، في شيراز، حيث وضع فيها صور لمخطوطات دواوين الشعر العاطفي للشعراء الفرس. ويلاحظ في صور المدرسة التيمورية اندماج الأساليب الفنية للمدرسة العباسية، والمدرستين الفارسية والصينية في رسم الأشخاص، والاعتناء بدقة التفصيلات مع خلفية طبيعية ملوَّنة، وتمتاز هذه الصور بالواقعية والحيوية[١] .

(1)https://www.marefa.org/

القسم الثاني

النصوص الفارسية

حملۀ مغول به ایران

حملۀ مغول به ایران به سه لشکرکشی مغول به ایران در فاصله سال‌های ۱۲۱۹ تا ۱۲۵۶میلادی(۶۱۶ تا ۶۵۴ه.ق) اشاره دارد. این لشکر کشی‌ها به حکومت خوارزمشاهیان، اسماعیلیه الموت وحکومت‌های محلی اتابکان سلجوقی خاتمه داد وبه ایجاد حکومت ایلخانان مغول به جای آن‌ها در ایران منجر شد. چنگیز خان پس از چیره شدن بر چین وبخشی از آسیای میانه با خوارزمشاهیان همسایه شد. خواسته چنگیز خان بازکردن راه بازرگانی میان قلمرو خوارزمشاهیان وچین بود. او در ابتدا، نسبت به سلطان محمد خوارزمشاه ادب واحترام را رعایت نمود، ولی این پادشاه با تدابیر خصمانۀ خود موجبات غضب خان مغول را فراهم کرد وهجوم او را به ممالک اسلامی باعث گردید. حملۀ مغول در پی قتل۴۵۰ بازرگان مغولی در شهر اترار آغاز شد. شروع نخستین لشکرکشی در سپتامبر سال ۱۲۱۹م (پائیز ۶۱۶/۵۹۸ ق) وبه فرماندهی چنگیز خان بود. سلطان محمد خوارزمشاه در همان سال با سپاهی به مبارزه با مغول برآمد، ولی از جوجی پسر چنگیز شکست خورد و از آن پس تصمیم گرفت که از مواجهه با لشکر مغول خودداری کند. چنگیز برای دستگیری سلطان محمد دو نفر از بزرگان لشکر خود را به تعقیب او فرستاد. سال بعد سلطان محمد در بستر مرگ، جلال‌الدین خوارزمشاه را به جانشینی خویش برگزید وجلال‌الدین بیش از ۱۰ سال پس از مرگ پدر در برابر سپاهیان مغول ایستادگی کرد. دومین لشکرکشی در سال ۶۲۶ ه.ق به امر اوگتای قاآن وبه فرماندهی جرماغون نویان بود. این لشکرکشی به قصد پایان دادن به مقاومت جلال‌الدین خوارزمشاه وتسخیر مناطقی که تحت سلطه

خوارزمشاهیان باقی‌مانده بود، انجام شد. در پایان این دو حمله مغولان به سلطنت خوارزمشاهیان بر ایران پایان دادند وبسیاری از شهرهای ایران مانند طوس ونیشابور به کلی ویران شد ومردم آن قتل‌عام شدند. خط سیر تخریب و ویرانی فقط منحصر به شمال وشمال شرقی ایران نبود، در مرکز وغرب ایران نیز شهرهای دامغان، ری، قم، قزوین، همدان، مراغه واردبیل هدف حمله قرار گرفتند. سومین لشکرکشی در سال۱۲۵۴ میلادی (۶۵۴ه.ق) چهل سال پس از شکست وفرار سلطان محمد خوارزمشاه، با هجوم هولاکوخان به ایران آغاز شد. هلاکوخان در این لشکرکشی تسخیر قلعه‌های اسماعیلیه را اولین هدف خود قرار داد .رکن‌الدین خورشاه آخرین خداوند الموت در تسخیر این قلعه‌ها به هلاکو کمک‌هایی نیز کرد؛ اما، سرانجام به دنبال تسخیر این قلعه‌ها، خود او نیز کشته شد. بدین ترتیب دولت خداوندان الموت به پایان رسید. سپس هلاکو در سال ۱۲۵۸ میلادی(۶۵۶ه.ق) به بغداد لشکر کشید وبا سقوط بغداد، خلافت عباسیان پس از حدود ۵۱۸ سال به پایان رسید. پس از این پیروزی بود که حاکمان مغول کوشیدند تا به جای ویرانی وقتل‌عام مردم بر آنان حکومت کنند.

دفاع مردم در حملهٔ نخست مغولان نشان از آن دارد که در حملهٔ نخست شهرهای مختلف در مقابل حملهٔ مغول به شدت مقاومت کردند، اما نفاق سران کشوری ولشکری بایکدیگر ونداشتن یک فرماندهٔ مدبر وفرار خوارزمشاه وبی‌انضباطی، نگذاشت که این همه مدافعات به نتیجه‌ای قطعی منتج شود. حمله مغول بیش از خسارت‌های اقتصادی، صدمات فرهنگی وروحی برجای گذاشت. در این حمله مراکز علمی وفرهنگی مانند کتابخانه‌های بسیاری سوزانده وویران شد. شهرهای بزرگ بسیاری از بین

رفت وبه دنبال آن مراکز رشد وپرورش فکری به حداقل رسید. کاهش جمعیت وبه اسارت گرفتن وفرستادن صنعتگران ایرانی به مغولستان باعث رکود اقتصادی در ایران گردید وتخریب قنات‌ها وآبراهه‌هایی که در طول قرن‌ها ساخته‌شده بودند، سبب رکود کشاورزی شد. پس از حملهٔ مغول شماری از دانشمندان که در این حمله جان سالم بدر برده بودند، به مناطق امن مانده از این حمله مانند آسیای صغیر و هند مهاجرت کردند. همچنین از اثرات دیگر آن، رونق تجارت در مسیر راه ابریشم بین ایران، چین وکشورهای غرب ایران بر اثر ایجاد دولت واحد مغول وامنیت راه‌ها بود .

ایلخانان

ایلخانان یا ایلخانیان نام سلسله‌ای مغول است که از سال ۶۵۴ تا ۷۵۰ه.ق. معادل ۱۲۵۶ تا ۱۳۳۵میلادی در ایران حکومت می‌کردند وفرزندان چنگیز خان مغول بودند. لشکریان چنگیزخان نخستین بار در سال ۶۱۸ه.ق. معادل ۱۲۲۱میلادی به خراسان حمله نمودند. چنگیزخان در سال ۱۲۲۵ میلادی به مغولستان بازگشت ودر آنجا درگذشت. سال ۱۲۵۱م. منگو یا منگل، خان بزرگ یا قاآن، بر آن شد تا با اعزام برادرانش هولاکو وقوبیلای(کوبلاخان) به ترتیب به ایران وچین پیروزی‌های مغولان را تحکیم وتکمیل کند. هولاکو با فتح ایران سلسله ایلخانیان ایران وقوبیلای با فتح چین سلسله یوان چین را بنیان نهادند. ایلخانان یعنی خانان محلی وغرض از این عنوان آن بوده‌است که سمت اطاعت ایلخانان را نسبت به قاآنان می‌رسانند واین احترام همه وقت از طرف ایلخانان ایران رعایت می‌شده‌است. فتح ایران به دست هلاکوخان پیامدهای مهمی چون پایان کار اسماعیلیان وانقراض خلافت عباسیان در پی داشت. ایلخانان در ابتدا دین بودایی داشتند اما به تدریج به اسلام گرویدند. ایلخانان مسلمان خود را سلطان نامیده ونام‌های اسلامی برگزیدند. در همان دورانی که محمد خوارزمشاه قدرت خود را در نواحی شرقی مرزها ماوراءالنهر گسترش می‌داد وخلیفه بغداد، الناصر لدین الله، برای رویارویی با توسعه قدرت او در جبال وعراق بر ضد محمد خوارزمشاه توطئه می‌کرد، در آن سوی مرزهای شرقی قلمرو خوارزمشاه، قدرت نوخاسته‌ای در حال شکل‌گیری بود که به تدریج به درون مرزها می‌خزید وخود را برای تهدید وتسخیر آماده می‌کرد.

زندگی ایرانیان در دوره ایلخانیان

مردم عادی، از ظلم وستم هایی در عذاب بودند که خان ها ومقامات بر آنان وارد می کردند. آنها تحت فشار مالیات های سنگین هم بودند. خشکسالی وفقر بر آنها تحمیل شده بود. اختلاف طبقاتی جدی ای بین اقشار فقیر وغنی وجود داشت. تعدادی از مردم زندگی نسبتا خوبی داشتند وما بقی با فقر وبدبختی می زیستند. متاسفانه، به دلیل عدم کنترل زاد وولد، تعداد فقرا همچنان رو به افزایش بود.

در تاریخ ایلخانیان، فقر وبی ثباتی بر زندگی بسیاری از مردم سایه گسترده بود. آن ها به دلایل عمده ای، مردم را به سوی تصوف هدایت کردند. بنابراین، مردم خانقاه های بیشتری ساختند وجامعه صوفیان رشد کرد. مساجد ومدارس هم به این دلیل که منبع درآمد معتبری برای متکلمان (حکمای الهی) بودند، شکوفا شدند.

فساد وپایبندی اندک به اصول اخلاقی، باعث رشد فحشا در بین مردم شد. برخی از ثروتمندان، فقرا را وادار به تن فروشی در فاحشه خانه ها می کردند. برخی از زنان آزاد هم بخاطر فقر، مجبور بودند که در چنین مکان هایی کار کنند. این مکان ها را «خرابات» می نامیدند. خرابات ها، مالیات ویژه ای به دولت می پرداختند. این مکان ها در زمان غازان خان بسیار فعال بودند. بنا بر این، غازان خان برای جلوگیری از توسعه این گونه مکان ها، قوانین ومقرراتی تنظیم کرد. به عنوان مثال، صاحبان خرابات اجازه ندارند زنان را وادار به تن فروشی کنند یا در صورت تمایلشان به ترک این شغل، نمی توانند مانع آنها شوند. البته این امر نمی توانست میزان، فاحشگی، قمار وباده نوشی را در خرابات محدود کند.

اباقا خان

اباقاخان دومین ایلخان از ایلخانان مغول حاکم بر ایران وبزرگ‌ترین پسر هولاگوخان. او در جمادی الاول۶۳۱ق/فوریه ۱۲۳۴م متولد شد وروز جمعه ۳ رمضان۶۶۳ق/۱۹ژوئن ۱۲۶۵م به سلطنت رسید. اباقا به هنگام وفات هولاگو(۱۹ربیع‌الآخر۶۶۳ق/۸ فوریه ۱۲۶۵م) در مازندران بود. وفات هولاگو در کنار آب جغاتو (زرینه رود) در نزدیکی مراغه اتفاق افتاد وامرا بی‌درنگ به رسم مغول راهها را بستند تا کسی نقل وانتقال نکند وکس به دنبال اباقا که پسر بزرگ‌تر بود فرستادند وارغون آقا را که مدبّر کارهای او بود نیز طلب کردند. یوشموت (یُشْموت) پسر دوم هولاگو از جانب پدر حاکم دربند واران بود وبه همین جهت زودتر از اباقا یعنی ۸ روز پس از مرگ پدر خود را به مراغه رسانید وچون از مشاهدهٔ اوضاع دریافت که همهٔ امرا میل به سلطنت اباقا دارند، پس از دو روز بازگشت. اباقا در۱۹ جمادی الاول۶۶۳ق /۹مارس ۱۲۶۵م به اردو رسید وامرای بزرگ به استقبالش رفتند. ایلکانویان وامرای دیگر مخصوصاً سکتورنویان و سونجاق (سوغنجاق) آقا بیش از همه به ولایت عهد وجانشینی اباقا گواهی دادند. اباقا مطابق رسم مغول در این گونه موارد امتناع می‌کرد ومی‌گفت بی‌اجازهٔ قوبیلای قاآن(خان بزرگ) چگونه می‌توان بر تخت نشست. سرانجام پس از اصرار شاهزادگان وامرا چنانکه مذکور شد در۳ رمضان ۶۶۳ق/۱۹ ژوئن ۱۲۶۵م به طالعی که خواجه نصیر الدین طوسی اختیار کرده بود. در کنار چغان ناوور (دریاچه سفید) واقع در فراهان بر تخت نشست وهمهٔ مراسمی که مغول در موقع تاجگذاری بر پای می‌دارند، دربارهٔ او نیز به عمل آمد ورسماً به ایلخانی وجانشینی هولاگو برگزیده شد.

امير مبارز الدين محمد مظفري ٧٢٣-٧٦٠ هجري .

او حكمران يزد ونواحي جنوبي ومنقرض كننده سلسله اينجوست. پس از انقراض سلسله اينجو بر وسعت قلمرو تحت سلطه او افزوده شد وبر اقتدار اين امير بيرحم وخونريز وبسيار متعصب در مذهب افزوده شد . او در سال ٧٥٨ هجري تبريز را فتح كرد ولي در هراس از تهاجم لشكريان سلطان اويس جلايري از تبريز بازگشت. در بازگشت از تبريز پسرانش شاه شجاع وشاه محمود كه توسط پدرشان مورد تحقير وتهديد به كور شدن قرار گرفته بودند بر پدر شوريدند ودر اصفهان او را دستگير وابتدا در قلعه طبرك محبوس كرده چندي بعد به دستور شاه شجاع او را كور كردند. امير مبارز الدين سر انجام در راه تبعيد به قلعه بم در ميان راه مرد. او در هنگام مرگ شصت وپنجسال داشت وبه مدت چهل سال در يزد واصفهان وشيراز وعراق حكومت كرد. او شخصيتي شگفت داشت. از نماز وروزه واستغفار از گناهان وتلاوت قران وعبادات مختلف كوتاهي نميكرد وسمبلي برجسته از آمران بالمعروف وناهيان از منكر وكمك به سادات وآخوندها بود. در بسياري اوقات گناهكاران را خود شخصا وگاه در هنگام تلاوت قران گردن ميزد . او دار السياده ها وبناهاي مختلفي ساخت ومقوله مذهب وحكومت را در هم آميخت. حافظ شيراز در برخي از غزلهاي خود به او وكارهاي او اشاره دارد ولقب محتسب را كه مردم شيراز به امير مبارز الدين داده بودند در شعرهايش براي او به كار برده است. شناخت روزگار حكمراني او وشخصيت تاريك امير مبارز الدين براي شناخت درونه اجتماعي شماري از شعرها وزاويه هاي نگاه شاعر وانديشمند بزرگي چون حافظ ضروريست .

سلسلهٔ جلایری یا ایلکانی

یکی از بزرگترین ومعروفترین سلسله هائی که در دوره ای بین سلطنت ایلخانان مغول وتیموریان در ایران حکومت کردهاند، «سلسله جلایری یا ایلکانی» میباشد، که از سال ۱۳۳۵ میلادی تاسیس وبه مدت ۹۷ سال حکومت کرده اند مؤسس این سلسله «شیخ حسن بزرگ» بود .

فعالیتهای فرهنگی این دور برای کسی پوشیده نیست، سلاطین جلایری گذشته از اینکه حامی هنرمندان وصنعتگران بودند، خود اغلب از شعر وادب، نقاشی وخوشنویسی سر رشته داشتند، تمدن دوره جلایری در حوزه نگارگری از اهمیت ویژهای برخوردار شد وفعالیتهای هنری آنان در تبریز وبویژه در بغداد متمرکز بود و نمونههای برجستهای از معماری آنان امروزه حفظ شده است .

قبیله جلایر هنگامی نامش در تاریخ ایران وارد میگردد که «ایلکانی نویان» با عدهای از افراد قبیله خود همراه هلاکوخان مغول(دومین پادشاه سلسله ایلخانان بعد از چنگیز) به ایران میآیند، او یکی از معروفترین امرای هلاکوخان به شمار میرود ودر اغلب جنگهای وی شرکت داشت، چندتن از اولاد ایلکانی نویان در سلطنت ایلخانی دارای مقامی شایسته بودند وچند نفر از آنان دخترانی از خاندان هلاکو به زنی گرفته اند .

امیر شیخ حسن بزرگ، پس از حوادثی چند، بعد از شکست "شاه جهان تیمورخان" پانزدهمین ایلخان مغول به بغداد رفت ودر آنجا استقلال خود را اعلام کرد وبه این ترتیب در آخر سال ۷٤۰ هجری قمری "سلسله جلایریان" تأسیس شد، خود وی تا سال ۷۵۷ هجری سلطنت کرد .

بعد از مرگ شیخ حسن بزرگ که توانسته بود با در گیریهایی که با چوپانیان وبخصوص شیخ حسن کوچک(بنیانگزار سلسله چوپانیان) داشت سلسله بزرگ را در عراق وقسمتی از ایران تأسیس کند، فرزندش شیخ اویس جانشین او شد ودر سال ۷٦۱ هجری قمری توانست آذربایجان را تصرف کند وحکومت جلایریان را گسترش دهد وقسمتهای زیادی را به حکومت خود ملحق کند و ۲۹ سال حکومت کرد اما این تلاشها که در مرکز ومشرق ایران انجام شد قرین کامیابی نبود وپس از او نیز حاکمان جلایری در این سیاست چندان موفقیتی حاصل نکردند ودر واقع زوال قدرت جلایری بعد از مرگ او شروع شد.

پسر ارشد او "حسن" نتوانست محبوبیت عمومی کسب کند وبه وسیله امیران رده بالا به قتل رسید وامر جانشینی بدست برادر او حسین افتاد واو هم بعد از مدتی به دلیل بیماری درگذشت وپایتخت جلایریان که بغداد بود از این زمان باعث درگیریهایی بین جانشینان جلایری شد واز طرفی ضعف این سلسله را در پی داشت و این سلسله با ۹٦ سال حکومت وخلافت ۱۰ امیر، به کار خود پایان داد .

هنر ومعماری

هنر ومعماری دوره جلایریان در دوران حکومتهای ایلخانی وتیموری، که هر دو در بیشتر رشته‌های هنری ونیز معماری صاحب‌سبک وممتاز بودند، شکل گرفت. بررسی وارزیابی همه جانبه اوضاع فرهنگی وهنری دوره جلایریان، حاکی از آن است که به‌رغم دوره کوتاه حکومت این سلسله ونزاعها وناآرامیها، هنر اسلامی نه تنها دچار رکود ونقصان نشد، بلکه حلقه اتصال و پیوند هنر مغولی و تیموری گردید وحتی ـ به دلیل آنکه پس از سقوط ایلخانان هیچ وقفه جدّی در رشد هنر اسلامی، پدید نیامد ـ در برخی رشته‌ها، از جمله نگارگری وخوشنویسی، موقعیت مناسب برای تجربه‌های تازه وابداع مکاتب جدید هنری نیز فراهم شد. سلاطین جلایری هنرمندان برجسته مقیم تبریز وبغداد را جذب کردند وفعالیتهای هنری را ادامه دادند

أ) نقاشی: هنر نگارگری در این زمان، به سبب تداوم مصورسازی کتابها، به‌خصوص در دوره حکومت سلطان اویس وسلطان احمد، فضای مساعدی یافت، از هنرمندان دربار حسن‌بزرگ، اطلاعی در دست نیست . سلطان اویس خود نقاشی می‌کرد وبهترین نگارگران زمانش را در دربار خویش گرد آورده بود، کسانی چون عبدالحی وشمس‌الدین، شاگرد ممتاز استاد احمد موسی. از آثار دوره سلطان اویس، بعضی نگاره‌های چهار آلبومی است که در کتابخانه‌های برلین واستانبول نگهداری می‌شوند. سبک این نگاره‌ها تا حد زیادی به سبک ایلخانی در شاهنامه مصور دموت شباهت دارد. این نگاره‌ها اوج احساس شاهنامه دموت را ندارند، ولی از جنبه نگارگری غنی‌ترند. از دیگر نسخه‌های خاص وشایان توجه این دوره،

کلیله ودمنه مصوری است که در کتابخانه دانشگاه استانبول نگهداری می‌شود. در این نسخه تصاویر در حاشیه کشیده شده‌اند واز فضاهای فرعی برای تصویرگری استفاده شده است. در پایان دوره سلطان اویس، شیوه مصورسازی کتابهای خطی قاعده‌مند شد وزمینه اصلاح نگاره‌ها وایجاد تعادل بین تجرد وطبیعت‌گرایی وخط ورنگ فراهم آمد. مکتب نگارگری جلایری در زمان سلطان احمد استحکام یافت وبه اوج رسید. سلطان‌احمد خود اهل شعر وهنر بود واستادان برجسته‌ای چون عبدالحی وجنید بغدادی، که شاگردان شمس‌الدین بودند، سرپرستی نگارگران را برعهده داشتند. در چنین فضای مستعدی، سلطان احمد، تحت نظر عبدالحی، آموزش طراحی ونقاشی می‌دید. درباره تصاویر نسخ مصور دوره سلطان احمد جلایر، هنوز جای بحث وبررسی است، ولی نسخه‌های کامل وتاریخ‌داری نیز وجود دارند که شناخت مکتب جلایری را میسر می‌سازند. از اولین کتابهای مصور این دوره، نسخه‌ای از خمسه نظامی به تاریخ ۷۸۸ و ۷۹۰ است که کهن‌ترین نسخه مصور خمسه به شمار می‌آید، ونیز نسخه‌ای از کتاب عجایب‌المخلوقات، به تاریخ ۷۹۱. برخی از ویژگیهای این کتابها عبارت‌اند از: خطاطی اُریب متن، افق بلند، زمینه گل وگیاهی افشانده وپراکنده واشکال کوچک‌تر. در نگاره‌های خمسه نظامی، ضمن رعایت خط افق، پیکره‌ها باریک‌تر وعلفها ودرختها وگلها بی‌روح تصویر شده‌اند ونقاشان دربار سلطان احمد این شیوه را در آثار بعدی تکامل بخشیدند.

ب) خوشنویسی: هنر خوشنویسی جلایری، از قرن هشتم تا دهم، یعنی دوران شکوفایی خوشنویسی اسلامی، رونق داشت. سلاطین جلایری، با

حمایت جدّی از خوشنویسان، رشد وتحول این هنر را میسر ساختند . سلطان احمد خود خوشنویسی نیز می‌کرد. در کنار مصورسازی کتب، زمینه مساعدی برای رشد هنرهای وابسته به آن واز همه مهم‌تر خوشنویسی بیش از پیش فراهم گشت. در این محدوده زمانی، ضمن رواج خطوطی مانند خط تعلیق و ثلث که در گذشته متداول بودند، خط نستعلیق به مرحله پختگی وقانونمندی رسید. بیشتر مورخان وتذکره‌نویسان، میرعلی تبریزی را واضع وقاعده‌مند کننده خط نستعلیق شناخته‌اند. او در خدمت سلطان احمد بود وبخشی از دیوان خواجوی کرمانی ونیز دیوان سلطان احمد را به خط نستعلیق نوشت . از دیگر مشاهیر خوشنویسی این عهد، مبارکشاه قطب، ملقب به زرین‌قلم، است که اهل تبریز واز شاگردان یاقوت مستعصمی بود وبیشتر خط ثلث می نوشت. گفته می‌شود سلطان اویس کتابت کتیبه (کتابه) حرم امام علی علیه‌السلام در نجف را به او سفارش داد. زرین‌قلم همچنین کتابت بیشتر کتیبه‌های مدرسه مرجانیه وخان مرجانِ بغداد را بر عهده داشت. او نقاش نیز بود. ارغون‌بن عبداللّه کاملی، از دیگر خوشنویسان این دوره، در بغداد می‌زیست. وی اصالتاً ایرانی بود. کتابت دو کتیبه در مدارس بغداد از کارهای اوست و آثار بسیاری از او، بیشتر به خط ثلث، در موزه‌ها، از جمله طوپقاپی‌سرای وموزه ملی ایران، بخش ایران باستان موجود است . از دیگر خوشنویسان این دوره، معروف بغدادی بود که در بغداد به دنیا آمد ودر خدمت سلطان احمد بود .

ج) معماری: جلایریان، به سبب نزاعهای پی در پی و از آن‌رو که ساخت آثار معماری نسبت به نقاشی و خطاطی، نیاز به سرمایه ووقت بیشتری دارد، موفق به خلق آثار قوی و ماندگار نشدند. با وجود این، در معماری

جلایریان دو گونه آثار را می‌توان بررسی کرد: بناهای مستقل؛ وبخشهای الحاقی واصلاحی برای بناهای موجود در منطقه عراق وآذربایجان. بناهای مستقل. یکی از بناهای مستقل آذربایجان، کاخ دولتخانه در تبریز بوده است. این بنای بزرگ وشاهانه، به فرمان سلطان اویس ساخته شد. کلاویخو، که در ۸۰٦ از آن دیدن کرده، نوشته است که آنجا بیست هزار اتاق دارد . از این کاخ اثری باقی نمانده است. بنای دیگری که برخی، از جمله مینورسکی، آن را به جلایریان نسبت داده‌اند، مقبره دمشقیه است که به سبب دفن میرزا محمد قاضی (متوفی ۱۱٦۷) در آنجا، به مقبره قاضی شهرت یافته است. این بنا متعلق به دوره چوپانیان است وآن را بغداد خاتون، دختر امیرچوپان، بنا نهاده است. شاید انتساب آن به جلایریان، به‌سبب دفن سه تن از پسران سلطان اویس به نامهای شیخ‌حسن، سلطان حسین وسلطان احمد جلایر، در این مکان باشد (رجوع کنید به کارنگ، از بناهای عراق در این دوره، مدرسه مرجانیه، خانِ مرجان وبنای دارالشفاء باقی مانده است. مدرسه مرجانیه در ۷۵۸، به فرمان سلطان اویس و به سرپرستی خواجه مرجان (حاکم عراق در زمان سلطان اویس)، بنا شد. در این مدرسه فقه حنفی وشافعی وعلوم دینی تدریس می‌شد وموقوفه‌های بسیاری به آن اختصاص داشت. چون چنین مجموعه‌ای به عنوان یک واحد ساختمانی تا آن زمان ساخته نشده بود، معماری آن شایان توجه است. ورودی آن به شیوه معماری سلجوقی ساخته شده وگنبد خیاره دار آن، در عراق منحصر به‌فرد است.

خانِ مرجان، کاروانسرایی است که خواجه مرجان در ۷٦۰ وقف مدرسه مرجانیه کرد. این کاروانسرا، بین کاروانسراهای عراق، تنها نمونه‌ای است

که صحن رو باز دارد. یکی از طولانی‌ترین کتیبه‌های وقف، از سده‌های میانی در این کاروانسرا وجود دارد. کیفیت تحسین‌آمیز مصالح آجری وشیوه طاق‌بندی خان مرجان، آن را در زیبایی همانند یک کاخ ساخته است. از دیگر آثار خواجه مرجان، بنای دارالشفاء است که هم‌اکنون از اوقاف مدرسه آلیانس یهودی محسوب می‌شود. مدرسه مسعودیه را مسعود بن سدید الدوله در بغداد بنیان نهاد وساخت آن در عهد سلطان‌احمد پایان پذیرفت. آن‌گونه که از منابع برمی‌آید، این مدرسه بنای زیبایی داشته که از بین رفته است. مدرسه مسعودیه، مانند مدرسه مستنصریه، به هر چهار مذهب فقهی اهل سنّت اختصاص داشته است. در دو بنای مدرسه مرجانیه وخانِ مرجان، از شیوه معماری منطقه‌ای پیروی شده واستفاده از طاقهای متقاطع در آنها به پیروی از همین شیوه است ومعماری جلایریان را براساس همین دو بنا می‌توان ارزیابی کرد. با وجود این، جلایریان شیوه محلی را در به‌کارگیری تزئینات آجرکاری با آجرهای هندسی‌شکل وگچبری ونیز اجرای کتیبه‌ها در سطح بالایی اجرا نمودند.

معماری اصلاحی والحاقی. این معماری شامل تعمیرات واصلاحاتی است که جلایریان در عتبات عالیات انجام داده‌اند. حسن بزرگ، که در آبادی بغداد ونجف اهتمام جدّی داشت، به همراه همسرش، دلشاد خاتون، به ساخت بناها وانجام دادن امور خیریه توجه بسیاری داشت. او تعمیرات گسترده‌ای در حرم امام هادی وامام عسکری(عسکریین) علیهماالسلام در سامرا، بر روی گنبد، گلدسته‌ها، حرم ورواقهای آستانه انجام داد. همچنین ضریح را تکمیل کرد ودر خارج از شهر محلی را به دفن اموات اختصاص داد ودستور داد دیگر کسی را در صحن حرم عسکریین دفن نکنند.

در ۷٦۷، سلطان اویس تعمیرات حرم امام حسین علیه‌السلام را در کربلا آغاز نمود. با مرگ او، فرزندش سلطان احمد در۷۸٦ این کار را به پایان رساند. تاریخ تعمیرات مذکور در کتیبه بالای محراب، معروف به نِحله مریم، ثبت شده بود واین کتیبه از آثار حجاری ایرانی محسوب می‌شد؛ اما، اکنون محو گردیده است. خواجه مرجان در دوران سلطان اویس در ضلع شرقی صحن حرم امام حسین مسجدی با منارِ زیبا بنا کرد که اکنون از بین رفته است. سلطان احمد نیز از۷۹۳ بر تزئینات دو منار حرم افزود. حرم امام کاظم وامام جواد (کاظمین) علیهماالسلام در۷٦۹ به دستور سلطان اویس ترمیم ودیوارهای صحن، کاشی‌کاری شد. دو صندوق مرمرینِ منقوش نیز بر مزار این‌دو امام نهاده شد. همچنین یک گنبد دیگر ودو منار به بنای سابق افزوده گردید. ساختمان دیگری نیز در اطراف بنای اصلی ساختند که به سبب تغییراتی که در دوره‌های بعدی در آن اعمال شد، امروز، اثری از آن باقی نمانده است. مصالح پراکنده‌ای که در گذشته در اطراف مزار سلطان اویس در گورستان شادباد(شادی آباد) مشایخ در شش کیلومتری جنوب‌شرقی تبریز بود، وجود مقبره‌ای بر مزار سلطان اویس را محتمل می‌سازد. سنگ قبر او، از سنگ سیاهِ شفاف با سنگ‌نوشته‌ای به خط ثلث با حجاری نفیس وحاکی از کیفیت هنر حکاکی هنرمندان آن دوره، سالم مانده است.

د) ضرب سکه: نظام پولی حکومت جلایریان براساس دینارِ طلا ودرهم نقره بود وبه سبب اوضاع سیاسی واقتصادی، در شهرهای داخل وخارج عراق سکه‌های گوناگونی از نظر شکل وحجم وعیار، ضرب می‌شد. به سبب اختلاف ارزشی سکه‌های ضرب شده، مبادلات اقتصادی وتجاری بین

شهرهای عراق ونیز بین بغداد وتبریز، آسان نبود، به‌طوری که گاه ارزش یک درهم در ابتدای حکومت یک سلطان به شدت افزایش ودر پایان حکومت او بسیار کاهش می‌یافت. سکه‌هایی که در این دوره در بغداد متداول بودند، از نظر ارزش با سکه‌های عباسی تفاوت چندانی نداشتند. در این دوره دو نوع دینار طلا در بغداد رایج بود: عوال (اَلْعَوال)، که متعلق به دوره عباسیان بود ودینارِ مرسله، که در دوره جلایریان رواج یافت. با آنکه در۶۹۸، در دوره ایلخانان، به ضرب درهمهای هم‌ارزش امر شده بود، درهمها از نظر حجم ووزن تفاوت داشتند. از بررسی سکه‌های دینارِ موجود در موزه‌ها مشخص شده است که همه سکه‌های طلا در بغداد ضرب شده‌اند، به جز سکه‌ای به تاریخ ۷۹۰ که در حلّه وسکه‌ای به تاریخ۷۸۰ متعلق به سلطان احمد که در تبریز ضرب شده‌اند. در حکومت جلایریان در بسیاری از شهرها درهم ضرب می‌شد، که نشان‌دهنده میزان نفوذ آنان است. این شهرها عبارت بودند از: بغداد، بصره، حلّه، واسط، تبریز، آمل، ارزروم، اردبیل، ارّان، موصل، حویزه، شروان، عمادیه، باکو، مراغه واربیل. با اینکه سکه‌های مسی(فَلْس) در بغداد متداول بوده، عانی(ص۳۳۲) مدعی‌است که در دوره جلایریان سکه مسی ضرب نشده است. سکه‌های مسی شناخته شده اینها هستند: سکه‌ای به نام سلطان اویس(محل ضرب نامشخص)؛ سکه‌ای به نام سلطان احمد (محل ضرب تبریز) وسکه‌ای به نام سلطان ولد .

تیموریان

تیموریان یا گورکانیان(۷۷۱–۹۱۱ه.ق/۱۳۷۰–۱۵۰۶م) دودمانی ترک‌تبار بودند. بنیان‌گذار این دودمان امیر تیمور بود که ادعا می‌کرد نسبش به چنگیز خان میرسد ودر برلاس که کنفدراسیونی از تاتارهای کوچ رو بود به دنیا آمد. تیمور کشوری گسترده ایجاد کرد که نخست سرتاسر آسیای میانه وسپس سراسر خراسان و چندی بعد همهٔ بخش‌های ایران وامپراتوری عثمانی وبخش‌هایی از هندوستان را در بر می گرفت. فتوحات تیمور که به قیمت خونریزی‌های دهشتبار وویرانی‌های بسیار به دست آمده بود چندان پایدار نماند وبه زودی قلمرو او با توجه به منازعات بین بازماندگانش وظهور دو طایفه ترکمان قراقویونلو وآق قویونلو تجزیه وبعدها توسط دولت صوی دوباره یکپارچه ومتمرکز شد. به محض اینکه تیمور مرد قلمروی گسترده تیموری تجزیه شد ودورهٔ هرج ومرج پیش آمد. بااین همه، فرزندان تیمور موفق شدند که شمال ایران را کم و بیش به مدت یک سده برای خود نگاه دارند. شاهرخ پسر تیمورموفق شد که مناقشات اقوام خود را تا حدی پایان دهد وقدرت واعتبار دودمان را نگهداری کند. ولی پس از مرگ او تصرفاتش به قسمت های کوچک‌تر مجزا شد وبه همین سبب صفویان وامرای شیبانی آنها را به متصرفات خود پیوست کردند. با این حال خاندان تیموری از میان نرفت ونوادگان تیمور پس از چندی امپراتوری بزرگ گورکانیان هند را بنیاد گذاردند. هر چند جانشینان تیمور به لحاظ ساختار حکومتی وارث تشکیلاتی بودند که تیمور بر اساس سنت‌های مغولی بنا نهاده بود، به سبب نبود حکومتی متمرکز، تشکیلات او نتوانست بر آن اساس باقی بماند. تفاوت اساسی در ساختار حکومتی جانشینان

تیمور با خود او، رجحان دادن قوانین اسلامی بر قوانین مغولی بود که پس از آنکه شاهرخ، در ۸۱۵ ه.ق قوانین یاسا را لغو وفقه اسلامی را جانشین آن‌ها کرد، رایج گردید. پس از او نیز بیشتر فرمانروایان تیموری، از جمله ابوسعید وسلطان حسین بایقرا، به رعایت سنت‌های اسلامی پایبند ماندند.تیمور با اینکه بسیار خونریز بود ولی به دانش وهنر نیز علاقه نشان می‌داد. از این‌رو هنرمندان و صنعتگران از کشتارهایش در امان بودند. فرزندان او نیز سیاست بنیان‌گذار دودمان تیموریان را پی گرفتند ازجمله می‌توان به راه اندازی رصدخانه، مسجد ومدرسه اشاره کرد. هنر نگارگری یا نقاشی ایرانی و نیز خوشنویسی در این دوره از تاریخ ایران به شکوفایی قابل توجهی دست یافت. ولی فقط نقاشی‌های نسخه‌های خطی از این دوره باقی مانده‌است. جانشین اوشاهرخ پیرو جدی علوم وصنایع بود ومسجد گوهرشاد وحرم علی بن موسی‌الرضا که زیارتگاه شیعیان است از اوست. در زمان پسر شاهرخ، الغبیگ کتابی برای تعیین احوال و حرکات ستارگان تدوین شد. برادران الغبیگ، بایسنقر میرزا وابراهیم میرزا که نوه تیمور بودند خود از خوشنویسان طراز اول و از حامیان مهم هنر به‌شمار می‌روند. خلیل. نوهٔ دیگر تیمور نیز در ایران به دانش وادب خدمت کرد. حسین بن بایقرا نیز حامی علوم وادبیات بود. ابوسعید که خود هنرمند بود پیرو صوفی‌گری واهل عرفان بود وبعد از او بود که خاندان تیموریان به صوفی‌گری روی آوردند. دورهٔ تیموریان به رغم نابسامانی ومنازعات داخلی ودرگیری امیران این خاندان با ترکمانان قراقویونلو ، دوره رونق فرهنگ، ادبیات، تاریخ، ریاضی ونجوم بود .

تیمور لنگ

تیمور نخستین پادشاه گورکانی وموسس سلطنت این سلسله که از ۷۷۱ تا ۸۰۷هـ.ق در بیشتر ممالک آسیا پادشاهی کرد. تیمور را ایرانیان به سبب لنگی پای چپش تیمور لنگ می خوانند. تیمور در زبان چغتایی (مردم آسیای مرکزی) به معنای آهن است واز او با القاب تیمور لنگ، تیمور گورکان،(بعد از ازدواج با اولجای ترکان دختر خان کاشغر بود که به او این لقب را دادند) وصاحبقران یاد شده است واروپاییان به او "تامرلان" می گویند. تیمور در۲۵شعبان۷۳۶هـ.ق۸ آوریل۱۳۳۵م در شهرکش به دنیا آمد وخیلی زود در سوارکاری وتیراندازی مهارت یافت. در مورد لنگی پای تیمور ابن عربشاه مورخ معرف در کتاب "عجایب المقدور" می نویسد:"تیمور در نو جوانی وقتی که مشغول دزدیدن گوسفندی بود پایش مجروح شد وچون به خوبی نمی‌توانست راه برود به تیمورلنگ معروف شد".

لشکرکشی های تیمور

تیمور فردی بسیار خشن بود. اما تیمور بسیاری از هنرمندان ودانشمندان شهرهای فتح شده را به پایتخت حکومت خود سمرقند می آورد. تمام مورخین وسفرنامه نویسان، هارولد لمپ وکلاویخو وسایدین در این نکته متفق القول هستند که تیمور همه جا را غارت می کرد تا بتواند سمرقند را چون یک شهر رویایی بسازد. ثروت امیر تیمور از طلا ونقره وسنگ های قیمتی وجواهر بود، آن قدر زیاد که می توانستند سطح زمین را با سکه طلا فرش کنند. بی رحم تر از این مرد در جهان یافت نمی شود. تظاهر به دینداری می کرد اما در خفا شراب می خورد. اگر در مقابل او صد هزار مرد وزن وکودک را سر می بریدند هیچ تاثیری در او

نمی کرد. تیمور آن قدر بی رحم بود که زمانی می خواست شهر زادگاه خویش را تجدید بنا کند دو تن از معملان که به او قول داده بودند که در موقع معینی ساختمانی را تمام خواهند کرد موفق نشدند آن دو را گردن زد. در اداره کشور فرماندهانی را انتخاب می کرد که خوی وحشیگری داشته باشند در سال۷۶۱ قمری/۱۳۶۰میلادی فردی به نام تغلق تیمور از نوادگان چغتای از ترکستان به ماوراءالنهر لشکر کشید. تیمور در این چنین آشوبی قدم به صحنه گذاشت در آن هنگام ۲۵ سال داشت. تیمور توانست با زیرکی وسیاست از همان آغاز کار، شهر کش را از قتل وغارت نجات دهد. این زمان بود که با امیر حسین(نواده قذغن در کابل) بنای دوستی گذاشت وبالاخره جواهر او(اولجای ترکان) را به عقد خود در آورد. تیمور از این طریق در رمضان۷۷۱ قمری/۱۳۷۰ میلادی آوریل توانست بلخ را تسخیر وحکومت مستقلی را تشکیل دهد. او سپس خود را صاحبقران خواند. پس از آن تیمور طی ۵ سال از ۷۷۲ تا ۷۷۷ق/۱۳۷۰ تا ۱۳۷۵ میلادی، ۳ بار خوارزم و ۵ بار به قلمرو خانان جند در آن سوی سیحون لشگر کشید. تیمور سپس به مغولان یورت طلایی که در روسیه مستقر بودند یورش برد ودست به کشتار آنها زد. تیمور پس از فتح دشت قفچاق مغلوستان در سال ۷۸۳ هجری فرزند ده ساله خود میدانشاه را با سپاهی مامور تسخیر خراسان کرد. میلیون ها نفر از اهالی ایران را به قتل رساند. تیمرو نیشابور وهراة را تسخیر کرد وآل کرت را به تصرف در آورد ودر هراة از سرهای مردم مناره ها ساخت. سپس رو به خزر نهاد واهالی برخی از شهرهای آن را به قتل رساند ومازندران را تا سال ۷۵۰ هجری در تصرف ملوک باوند بود تسخیر کرد.

جنگ های تیمور:

جنگ سه ساله: در یورش سه ساله که از ۷۸۸ تا ۷۹۰ طول کشید آذربایجان ولرستان را نیز تصرف کرد. وسلسله جلایران را نیز منقرض گرد. سپس ارمنستان، گرجستان وشروان را نیز فتح کرد ودر سال ۷۹۳ مردم خوارزم را قتل عام کرد. سپس در سال ۷۹۵ بعد از انقراض مظفریان متوجه آسیای صغیر شد.

جنگ ۵ ساله: بین سالهای ۷۹۴ تا ۷۹۸ هجری قمری صورت گرفت وپس از آن حکومت هر شهر را به یکی از فرزندان ویا خویشاوندان خود سپرد. سپس مسکو را فتح کرد وعازم هندوستان شد وبا لشکریان خود به سلطان دهلی که در شمال هند سلطنت می کرد حمله کرده ولشکر سلطان دهلی را در روز ۱۷ دسامبر سال ۱۳۹۸ میلادی در منطقه پانیپات در هم شکست ودر سال ۸۰۱ هندوستان را فتح کرد و صدهزار نفر را به قتل رساند. البته خود تیمور در این جنگ بسیار زخم وجراحت برداشت وآنقدر خون از بدنش رفته بود که پس از مدتی بیهوش شده وبه زحمت از میدان جنگ خارج شد.

جنگ هفت ساله: تیمور در یوش عازم آسیای صغیر شد وجنگ های مشهور بسیاری از جمله سیواس، قیصریه وانگوریه را در این مناطق رقم زد. لشکر کشی های تیمور به ایروان از سال ۸۰۲ تا ۸۰۷ هجری طول کشید که آن را یورش هفت ساله می نامند. در طول این لشکر کشی حلب، دمشق، بغداد نیز به تصرف تیمور و سپاهیانش در آمدند. شهر دمشق توسط تیمور به آتش کشیده شد. در سال ۸۰۴ بایزید سلطان عثمانی را مغلوب واسیر کرد.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية :

١- أحمد حطيط (دكتور): حروب المغول، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٤م

٢- حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٩م

٣- دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة ١٤٠٥/١٩٨٥م

٤- عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة د. محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة ١٩٩٠م

ـــــــــ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د.عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات ٢٠٠٠م

ـــــــــ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م

٥- عبد السلام عبد العزيز فهمي(دكتور): الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م

٦- فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور): المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م

ـــــــــ دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ٢٠٠٩م

ثانيًا : المصادروالمراجع الفارسية

١- پاول هرن: تاريخ مختصر إيران، ترجمة د.رضا زاده شفق، تهران ١٣١٤هـ.ش

٢- حسن بيرنيا: دورهٔ إيران از آغاز تا انقراض قاجاريه، تهران ١٣٢٦ش

٣- رضا شعبانی(دکتر): مختصر تاریخ إیران، جلد اول، تهران١٣٧٨هـ.ش

٤- عباس إقبال: تاریخ مغول از حملۀ چنکیز تا تشکیل دولت تیموری، چاپ نهم، انتشارات امیر کبیر، تهران ١٣٨٨هـ.ش

٥- عبد الله رازی همدان: تاریخ إیران از ازمنه باستانی تا سال ١٣١٦هـ . ش، چاپخانه اقبال، تهران ١٣١٧هـ.ش

٦- مرتضی راوندی: تاریخ اجتماعی إیران، جلد هشتم، بخش دوم، چاپ اول، إیران ١٣٧٤ش.

ثالثًا: الدوريات العلمية :

١- ريهام المستادي: رحلة قبائل المغول من التمزق إلى التوحد، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، يونيو ٢٠٠٩ .

رابعًا: شبكة المعلومات الدولية

-https://ahmedalalaq.ahlamontada.com/t3-topic

-https://archive.islamonline.net/?p/10103

-https://www.bbc.com/persian/iran-47097095

-https://www.islamist-movements.com/10039

-https://demo.islamstory.com/

-https://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no/6445

-https://shamela.ws/book/36578/2827#p1

-http://www.meisami.com/no-25/93-103.htm.

-https://www.marefa.org/

-https://tipyan.com/jalal-ad-din-khwarizm-shah .